الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم التاريخ.

الكتابة التاريخية في المغرب والأندلس خلال العهد الموحدي

-دراسة مقارنة-

(المنهج، الأسلوب، الخطاب، المصداقية)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

- عباس لكحل

إشراف الدكتور:

د. الطاهر بونابي

اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الـرتبـة	الصـفـة
د. لخضر بولطيف	أستاذ مساعد ـ أ	رئيسا
د. الطاهر بونابي	أستاذ محاضر ـ أ	مشرفا
د. محمد حصباية	أستاذ مساعد ـ أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/ 2015-2016م

ص: الصفحة.

ج: الجزء.

مج: المجلد.

تح: تحقيق.

مر: مراجعة.

تخ: تخريج.

تر: ترجمة.

ت- : توفي. - هـ/ م: التاريخ الهجري/ التاريخ الميلادي.

. وآخرون :et. Al .المصدر/ المرجع نفسه :Ibid . المصدر/ المرجع السابق :Opcit – Page: P -

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلشكر وَالعرفَان

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

-سورة هود الآية [88]-

«-»

كانت بذرة.. فكرة رَعتها أياد كريمة، نبتت ونمت أغصانها وأورقت حتى صارت عملا متواضعا ترونه الساعة بين أيديكم، وسوف تزهر وتثمر اليوم بين أكفّكم، كيف لا وهي نفس الأكف التي رعتها حتى ربت، وأقف أنا والثمان وعشرين حرفا عربيا عاجزين عن إيجاد الكلمة التي تتسع لكل معاني الشكر والإمتنان، لكم أساتذتي مُعلمّي الأفاضل:

"الطاهر بونابي"، "لخضر بولطيف"، "مراد لكحل"

جزيلَ شكري وامتنانِي.

مقدّمة

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

مما تفرضه علينا الدراسات والمناهج الحديثة ضرورة الوقوف بالنقد والاستنطاق لمؤلفات تاريخية خصوصا في بلاد الغرب الاسلامي، الذي عرف رواجًا في الكتابة التاريخية إبَّان العصر الوسيط عمومًا والعهد الموحدي خصوصًا، ما أثرى مكتبته بمجموعة مؤلفات تباينت في خطاباتها وأهدافها ومناهجها وأساليبها، كما عرف الكثير منها انحيازًا لتيار معين أو سلطة معينة أو توجه ديني ومذهبي، وأمام كل هذه التباينات يجد الباحث نفسه تَوّاقًا لدراسة مثل هذه المؤلفات ومناهجها ومقارنة بعضها ببعض، ومضطرا في الوقت نفسه للتعامل الموضوعي مع التراث وتجنب القفز على الزمن وذلك بتناوله بلغة العصر، فكان اختياري لموضوع:

" الكتابة التاريخية في المغرب والأندلس خلال العهد الموحدي -دراسة مقارنة-

(المنهج. الأسلوب. الخطاب. المصداقية)"

والذي يطرح علينا إشكاليات متعددة فرضتها تناقضات حادة:

- إلى أي مدى عبّرت نصوص هذه المؤلفات عن حقائق تاريخية وأسهمت في زيادة موثوقيتها؟

- هل كانت هذه المؤلفات على درجة واحدة من حيث التوثيق، والأسلوب، والخطاب؟

- هل كان للسلطة الحاكمة وعلاقة المؤرخ بها تأثير على مصداقية هذه المؤلفات التراثية؟

- هل كان للمؤلفات المغربية تأثير ظاهر على الكتابة الأندلسية؟

- وهل رقت هذه المؤلفات -المغربية والأندلسية- إلى مستوى تشكل مدرسة تاريخية برؤية منفردة ومنهج خاص؟

وتكمن أهمية الدراسة في استنطاق هذه المصادر والوقوف على مناهجها ومضامينها وكذا أهدافها وتوجهات أصحابها، فنحن نعرض للقارئ مادة خصبة وشاملة لثلة من المصادر التي كان لها تأثير فيما جاء بعدها من كتابات.

وقد مكنتنا هذه الدراسة من التعرف على مشكِّلي الفكر السياسي والثقافي للغرب الإسلامي، والوقوف على طبيعة الإضافة العلمية للمؤلفات التّراكمية وتأثرها بالسابق من المدوّنات، كما أن مقاربة مثل هذا الموضوع يعد مجالا خصبًا للمِرَان على المنهج التاريخي بآلياته المختلفة وعلى بعض المناهج الحديثة الماسة.

ب - المنهج:

لما كان من الأمور المسلم بها أن دقة وقيمة النتائج التي نتوصل إليها في أية دراسة مرهونة بمناهج البحث التي نستخدمها، والرُّؤى التي نصدر عنها لم نجد أجدى من توظيف آليات المنهج التاريخي؛ من رصد واستقراء للنصوص، ونقد وتمحيص، ثم آلية الوصف والتحليل، وآلية المقارنة والتعليل في التعامل مع المصادر من خلال التوثيق والبنية والمنهج والأسلوب والخطاب والمصداقية، ووقفت على دراسة مؤلفيها وتتبعت حياتهم ومدى مصداقيتهم وهو ما يعرف بالجرح والتعديل، انطلاقا من الكتب التي تحدثت عنها.

ومما لا شك فيه أن مباحثة ومساءلة المواضيع المتعلقة بدراسة المصادر تطرح" مسألة منهجية وقراءة" هذه المصادر، وقد اقترح الجابري منهجية للقراءة تتمثل في التعرف على الخطاب وأصحابه وهي ما تعرف بالقراءة" الاستنساخية"، ليتم في المستوى الثاني: ممارسة عملية تفكيك الخطاب وإعادة بنائه، وتمر هذه العملية عبر مرحلتين، الأولى: تشخيص عيوب الخطاب داخليا وخارجيا، ليتم في المرحلة الثانية: إعادة بناء الخطاب للكشف عن المنطق المتحكم فيه [1].

(1)- محمد عابد الجابري؛ الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م، ط5.

وتدعونا الضرورة إلى القول إن اختيارنا لنماذج معينة من نصوص مدونات الكتابة التاريخية، لم يكن" انتقائيا"، بقدر حرصنا على تفادي منزلق الانفلات ولا حتى الاختزال لنماذج الكتابة التاريخية، كما أن تجاوز نص معين لا يومئ إلى الإهمال أو التقصير [1]، بقدر ما أن الاتجاه على هذا النحو يقصد إيراد النصوص الأكثر تعبيرا عن المراد.

وهذا يدعونا إلى البوح على أن دراستنا قامت على تسعة نماذج مغربية وسبعة نماذج أندلسية، ثم جعلت في المقارنة نموذجين للدراسة: إحداهما مؤرخ مغربي وهو "**ابن الكردبوس**" والآخر أندلسي عاش متنقلا بين العُدوة –المغرب– والجزيرة –الأندلس– وهو المؤرخ" **ابن صاحب الصلاة**".

ج– عرض الموضوع:

ولقد تم معالجة هذا الموضوع بجمع طروحاته وعناصره وفق خطة مكونة من ثلاثة فصول، فضلا عن مقدمة البحث وخاتمته.

خصصت الفصل الأول لمصنفات المؤرخ المغربي، فكان عنوانه:" **منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ المغربي (العهد الموحدي)**"، حيث تم فيه دراسة الكتابة التاريخية عند المؤرخ المغربي على مستويين:

– **المستوى المَنْهَجِي:** كانت دراسته من خلال: التوثيق، بنية النص، والمقارنة.

– **المستوى التّصَوُّرِي:** من خلال دراسة وتحليل توجّهات المؤرخ وميولاته، ودراسة الخطاب التاريخي له.

وقد تناولت في الفصل الثاني مدونات المؤرخ الأندلسي، موسوما بـ:" **منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ الأندلسي (العهد الموحدي)**"، وجاءت عناوينه الفرعية –هو الآخر–

([1])– محمد ضريف؛ تاريخ الفكر السياسي بالمغرب: مشروع قراءة تأسيسية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1984م، ط2.

وفقا لما تمخَّض عنه النظر والتَّدبر، ولم تخرج دراسته عن نطاق المستويين في الفصل الذي قبله –أي– جانب منهجي من خلال؛ التوثيق، والبنية، والمقارنة، وآخر تصوري عبر دراسة وتحليل الخطاب لفهم توجه المؤرخ وسلطته.

أما الفصل الثالث فكان بمثابة دراسة مفصلية ومقارنة بين مؤرّخَين إثنين هما:" **عبد الملك ابن الكردبوس**" والآخر" **عبد الملك ابن صاحب الصلاة**" كنموذجين للدّراسة، فجاء برهنة على لملمة وتوضيح الصورة أكثر على خصائص الكتابة التاريخية، في العهد الموحدي، فكان بعنوان:" **الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة – دراسة مقارنة–**".

د– تحليل ونقد المصادر:

وأنا أستثير مضان مادة بحثي، وأتَّبع مسالك مصادره وأتقرَّاها في شعابها، وأستثيرها في مكامنها، ذلك أن البحث يحتاج –على حد تعبير ابن خلدون– إلى:" مآخذ متعدّدة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبّت يفضيَّان بصاحبهما إلى الحقّ، وينكّبَان به عن المزلّات والمغالط" [1]، من أجل ذلك استندت الدراسة عبر مختلف فصولها وأبحاثها إلى جملة من المصادر والمراجع.

– المصادر:

– كتب التواريخ والحوليات

تحتفظ كتب الحوليات بأهميتها في كتابة التاريخ السياسي الموحدي، وبالتالي فهي تجسيد " للتاريخ الحدثي" كونها تتضمَّن العلائق بين المؤرخ والحاكم، الفقيه والسلطان، وعلاقة العامة بالسلطة. وتأتي في مقدمة المصادر المعتمدة:

– البيدق (ت555هـ/ 1160م):" أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين"، و" **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**"، تكمن أهميتهما في المكانة التي كان

(1)– المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.

يحظى بها المؤلف، فهو كان قريب من الحدث، وأحد أتباع المهدي ابن تومرت ورفيق دربه ومؤرخ سيرته.

- **ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ/ 1198م)**:" **تاريخ المن بالإمامة**" عاش صاحبه في كنف السلطة الموحدية، عهد خلفائها " أبي يعقوب (558هـ-580هـ)"، و" وأبي يوسف المنصور (580هـ-595هـ)"، فكان كتابه شبيه بكتب الآداب السلطانية، أرّخ فيه لأحداث القصر الملكي الموحدي.

وهذه المؤلفات إلى جانب" **نظم الجمان**" لصاحبه" **ابن القطان (ت-650هـ/1252م)**، تمثل أساس المدونة الرسمية الموحدية، لذلك تعاملت معها بحذر وتحفظ شديدين.

- **كتب التراجم**

عكست مصنفات التراجم والطبقات ومعاجم الرجال، الاهتمام والعناية التي أَوْلَاها مؤرخ الغرب الإسلامي -العهد الموحدي- إلى هذا النوع من التآليف المتمايزة في البنية والمضمون، من جنسها:

كتب" التكملات والصِّلات" التي تضمَّنت تراجم معدَّلة ومستجدَّة، وأخرى مضافة لم يتكرَّر ترجمتها سواء كان -للسابق من المؤلفات أو اللاحق منها- وذلك راجع إلى -سيرورة حركة التاريخ-، ومن أهمِّها:

- **ابن الأبّار (595هـ-658هـ)**: " **التّكمِلَة لكتاب الصِّلَة**" يعتبر ابن الأبّار أبرز مؤرخي الأندلس تصنيفا في عهده فقد كتب كتابه" التَّكمِلة"، بالإضافة إلى مؤرخ المغرب" **ابن عبد الملك (634هـ-703هـ)** صاحب" **الذيل والتَّكمِلة**"، و" **ابن بشكوال (ت-578هـ/1183م)**" و" **ابن الزبير(627هـ-708هـ)**، وغيرهم من المؤرخين كلهم اعتمدنا عليهم سواء في البحث أو من خلال دراستهم.

غير أن الإدعاء بأنها استطاعت تجاوز نظرائها المشارقة فإن ذلك من جانب المبالغة، سواء كان ذلك في جانبها الكمي أو من حيث الضبط والتحقيق من إعمالٍ لآليات الجرح والتعديل على المتون والأسانيد، جعلنا ذلك نتجه لكثير من مصنفات المشارقة في مقدمتها

مؤلفات "**شمس الدين الذهبي (ت/748هـ)، وابن خلكان (ت/681هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت/852هـ)**.

كتب طبقات المالكية في مقدمتها" **ترتيب المدارك**" لـ:" **القاضي عياض (ت/544هـ)**"، "**والتشوف إلى رجال التصوف**" لـ:" **ابن الزيّات (627هـ)**".

فإن قيمتها تكون في مرتبة ثانية بعد كتب" التكملات والصلات" وإن كان هذا تجاوز على حقوق المضمون –باعتبار أن كل صنف من هذه المؤلفات تناولت طبقة معينة من فئات المجتمع– ذلك راجع إلى ما تحتويه الأولى من صبغة مناقبية وتميزت الثانية عن نظيراتها بالدقة في التراجم طالما أن من أنتجها كانوا ضمن صنف الفقهاء المحدثين القضاة وعادة ما تميزت كتاباتهم بإعمال القياس، الضبط، الدقة، والتحقيق بعيدا عن النص المنقبي والميثولوجيا التاريخية.

– الدراسات الحديثة:

أما في حقل الأبحاث والدراسات الحديثة، فعلى أننا لم نقف على دراسة قريبة من الموضوع، إلا أننا حاولنا أن نستأنس بعديد من الدراسات، سواء التي كتبت بالعربية أو التي كتبت بلغات أجنبية ذات الصلة بـ:" الكتابة التاريخية"، و" الفكر التاريخي"، والخطاب التاريخي"

وفي مقدمة تلكم الدراسات مؤلفات الباحثة (Linda G. Jones) [1]، من خلال دراستها في فكر" ابن صاحب الصلاة" دراسة بنيوية في الفكر والخطاب التاريخي.

([1])– يأتي في مقدمة أبحاثها:

– The Power of Oratory in the Medieval Muslim World, Cambridge University Press, Printed in the United States of America, 2012, first published.

– "THE CHRISTIAN COMPANION": A RHETORICAL TROPE IN THE NARRATION OF INTRA-MUSLIM CONFLICT DURING THE ALMOHAD EPOCH, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Anuario de Estudios Medievales; Vol 38, No 2 (Year 2008).

I

الكتابة التاريخية في العهد الموحدي من خلال منظور الدارسين العرب.

أ/ منطلقات وثوابت قراءة التراث.

ب/ المجازفات المقصودة والمبادرة الحذرة.

الكتابة التاريخية في العهد الموحدي من خلال منظور الدارسين العرب:

إن أغلب ما تميزت به الدراسات الحديثة في مجال" التراث الإسلامي" و" الكتابة التاريخية" الصدور بخلفيات مسبقة، أو دراسات سطحية، ونرى مع أحد الباحثين [1] أن هذا الأخير بحاجة إلى مراجعة شاملة نظرا لما عرفته من الصدفة والعشوائية عازفا عن منهجية سليمة في هذا التعامل، الأمر الذي أدى إلى إصدار الأحكام التعميمية والمجحفة في حق هذا التراث، فالضرورة داعية وصارخة للمراجعة الشاملة لكل المصادر التاريخية في الفترة القروسطية.

أ/ منطلقات وثوابت قراءة التراث:

إن التعامل مع التراث عمومًا لا يمكن أن يكون" بريئًا"، ولا" موضوعيًا"، ولا محايدًا"، وأن استمرارية العودة إلى هذا التراث ناتج عن غياب الفهم التاريخي له [2]، في حين رأى أحد المفكرين [3] أن ذلك راجع في بدايته إلى أن:" الشخص الذي يفسّر نصاً يلوّن هذا النص بتفسيره له وفهمه إيّاه".

ذلك أنه" لا وجود لكتابة بريئة" [4]، ولا" لمنهجة بريئة أيضا" [5].

---

(1)– نصر محمد عارف؛ في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1994م، ص69.

(2)– كمال عبد اللطيف؛ في تشريح أصول الاستبداد: قراءة في نظام الآداب السلطانية، دار الطليعة، بيروت، 1999م، ط1، ص6–7.

(3)– عبد الجبار الرفاعي ؛" الشيخ أمين الخولي رائداً للدرس الهرْمنيوطيقي بالعربية"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد 63 . 64، صيف وخريف 2015، نقلا عن؛" **مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث**".

(4)– محمود إسماعيل؛ الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001م، ص13.

(5)– François FURET; Histoire et ethnologie, in L'atelier de l'histoir, Flammarion, Paris, éd. 1989, PP. 91-98.

" التاريخ والإثنولوجيا"؛ ضمن كتاب: محمد حبيدة؛ من أجل تاريخ إشكالي: ترجمات مختارة، جامعة ابن طفيل، 2004م، ط1، ص22.

ولمَّا كان أغلب ما يواجه الباحث في الكتابة التاريخية هي الأحكام المسبقة والشائعة فإن أغب الدارسين وقعوا في هذا المأزق، فلم تسلم هذه الدراسات من رُؤى وخلفيات متعددة من تصورات شوفينية فالمؤرخ المغربي -مثلا- عمل على إعمال القطيعة [1] بين" العالم الغربي الإسلامي" و" المشرق الإسلامي"، رغم وحدة الدين والعقيدة.

في حين عمل باحثون آخرون على ترسيخ فكرة الأسبقية المشرقية [2] على نظيرتها المغربية في مجال الفكر التاريخي والكتابة التاريخية، فالمشرق مركز ثقل دار الإسلام، وتطور الفكر السياسي في المشرق كان أسبق من نظيره بالمغرب، وعمل آخرون على تقديم الفضل والأولوية لمدرستهم [3] التاريخية الإسلامية التي ورثوها من القرون الأولى للإسلام على بقية المدارس الأخرى، ونحن نرى باستحالة حدوث ذلك ولا يمكن أن نسلم به إبستيمولوجيًا.

من الدراسات التي قامت في حقل" الفكر التاريخي" و" الكتابة التاريخية" في الغرب الإسلامي، هي سلسلة الكتاب التي قام باستصدارها المؤرخ" محمود إسماعيل" [4]، وكتابه:" الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي" [5].

الكتاب اعتبر من الدراسات التي وقفت على واقع الكتابة التاريخية في المنطقة -المغرب والأندلس- للقرون الهجرية الخمس الأولى، إلا أن صاحبه صَدَر بخلفية مادية،

---

(1)- مثل هذا الرأي من المستشرقين كل من المستشرق" روزنثال"، و" إيف لاكوست"، ومن المؤرخين المغاربة: هاشم العلوي القاسمي؛ مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الرباط، 1995.

(2)- محمود إسماعيل؛ سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الازدهار 4، سيناء للنشر، القاهرة، 2000م، ط1، ص65.

(3)- محمود إسماعيل؛ الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص39.

(4)- سلسلة كتب: سوسيولوجيا الفكر التاريخ في عشرة مجلدات:" طور التكوين" مجلدًا واحدًا، "طور الازدهار" في أربعة مجلدات، و" طور الانهيار" في أربعة مجلدات، والجزء الأخير" محاولة للتنظير".

(5)- الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001م.

إذ يقول:" خلاصة القول، أن المدرسة التاريخية -المغربية والأندلسية- مثل نظيرتها الشرقية والمشرقية والمغربية- عبرت عن معطيات الإقطاعية المرتجعة بغطائها الثقافي والفكري النصي والغيبي والاتباعي، بينما عبرت الاتجاهات العقلانية الوضعانية بإيجابياتها عن وجود النمط البرجوازي بأغطية الثقافة الليبرالية الإبداعية، مما يؤكد ما نلح عليه دائما من صدق الحكم بسوسيولوجية الفكر " [1].

وأصحاب هذا المنهج المادي ربطوا كل -تطور- أو -تراجع- في" العالم الإسلامي" مرهون بالصحوة البرجوازية، الأولى والثانية والثالثة...

فهم اختزلوا:" النشاط البشري في زاوية ضيقة، لا تكاد تخرج عن تحصيل لقمة العيش"[2]، لكنهم لم يصيبوا فيها الرمية ولا أصابوا الشاكلة.

مثّل الأدب أحد سمات الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، وحظي الشعر بمكانة مرموقة [3] في كتب التراجم والسير وكتب الأحداث، ذلك أدى إلى ظهور ما يسمى بـ:" الأدب التاريخي".

وهذا ما جعل الكثير من الباحثين [4] يعكفون على دراسة الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي كظاهرة أدبية، وأشار غير واحد من الباحثين إلى أن المصادر التي ألّفت في

([1])- الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ص46.

([2])- لخضر بولطيف؛" ملامح المنظومة القيمية للمجتمع القلعي الحمادي: منطلقات الفكر وأنماط السلوك" ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس، الجزائر، أيام: 9-10-11 أفريل 2007م، مراجعة وتنسيق لخضر بولطيف، الجزائر، ص354.

([3])- فرانز روزنثال؛ علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م، ط2، ص97.

([4])- يأتي في صدارة المؤلفات العربية: مصطفى الشكعة؛ مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ط6. أما كتابات الباحثين العرب وباللغة الأجنبية:

- Baker Khalid Lafta; " Ibn Bassām as a literary historian, a critic and a stylist: a study of al-Dhakhīra ", University of Glasgow, Scotland, UK (1986).

الغرب الإسلامي وبالتحديد في الأندلس:" من الكثرة بمكان" [1]، جعله ذلك يرى أن التاريخ والكتب التاريخية ما هي إلا في خدمة الأدب، وهو أمر مغالى فيه بدون شك.

في حين عملت بعض الدراسات المشرقية [2] بالخصوص على دراسة ظاهرة" الكتابة التاريخية" في المشرق منفصلة عن مثيلتها في" المغرب"، ولربما اتجه كثير منها إلى إسقاط تلك الدراسات المشرقية على مثيلتها بالمغرب كذلك.

أما الغالب عن الأبحاث [3] فإنه غلب عليها الجانب التراجمي للمؤرخين، ودراستهم كظاهرة منفصلة عن منظومة مجتمع المغرب في الفترة الوسيطية، وبالتالي قدموا لنا **تاريخا جامدا**، وأبرزها اكتفى بالحصر البيبليوغرافي لهذه المصنفات [4]، فهي لا تخرج عن حيز العنوان والمؤلف ومكان تواجده، فعاب عليها الجزئية، والسطحية في البحث.

ولعل ما سنخوض فيه بالدراسة كفيل لإثبات هشاشة تلكم الدراسات، ذلك أن الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي –المغرب والأندلس– قامت على أساس معطيات مشرقية – في بداياتها– دون أن نتغافل عن خصوصية –المجال– وخصوصية –المؤرخ– في ذات الوقت.

([1])– مصطفى الشكعة؛ مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ط6، ص625.

([2])– ينظر على سبيل المثال: وجيه كوثراني؛ تاريخ التأريخ: اتجاهات– مدارس– مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013

- عبد العزيز الدوري؛ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت،1983 م
- شاكر مصطفى؛ التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت،1979 م
- السيد عبد العزيز سالم؛ التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت،1981 م.

([3])– ينظر على سبيل المثال: أنور محمود زناتي، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، زهران للنشر، 2011م؛

([4])– ينظر مثلًا: عبد القادر بوباية، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2014م.

إن أبرز ما تراهن عليه" **مدرسة الحوليات الفرنسية**" هو دراسة" الظاهرة التاريخية" عبر " الأمد الطويل" لها، أو ما يسمى بـ:" **تاريخ الأمد الطويل**" الذي مثله" **ميشال فوفييل**" (Michel Vovelle) وهو أفق طالما راهنت عليه هذه المدرسة كأحد المجالات والحقول المستجدة والفاعلة فيما يسمى بـ:" **التاريخ الجديد**" (La NOUVELLE HISTOIR) ورائده في هذا المجال" **جاك لوغوف**" (Jacques Le Goff)" [1].

من خلال تناولنا لظاهرة الكتابة التاريخية عبر فترة طويلة الأمد بداية منذ انبلاجها مع قيام" **دولة الموحدين (5I4هـ- 669 هـ)** "، مرورا بفترات الأوج إلى آخر العهد الموحدي، قمنا بدراسة الكتابة التاريخية كظاهرة، ودراستنا للمؤرخ، وعلاقتهما بالسلطة. عبر ما يسمى" **تاريخا متحركا**".

ب/ المجازفات المقصودة، والمبادرة الحذرة:

نحن نعي تماما أن موضوعا مثل هذا يتشعب لكثير من المسالك، وينفتح على عديد من الجبهات، مثل:" المؤرخ"،" الخطاب"،" السلطان"، والمؤرخ كمدون وناقل لهذا التاريخ، والسلطان مؤثرا في هذا الخطاب،" النص"؛ ويشمل" الخطاب التاريخي"،" المصداقية"،" الخبر"،" الأسلوب"،" الرؤية"،" الإيديولوجية"،" الميول السياسي"، و" التوجه المذهبي"، أو ما يسمى" منحى المؤرخ" [2].

ولا يمكن فهم ولا استيعاب هذه الظاهرة إلا من خلال دراستنا لها ضمن" **تاريخ الأمد الطويل**":" فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار"[3].

([1])- جاك لوغوف؛ التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007م، ط1، ص13، 141.

([2])- عبد الله العروي؛ مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م، ط4، ص47.

([3])- عبد الرحمان بن خلدون؛ المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص7.

الفصل الأول

منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ المغربي (العهد الموحدي).

أ/ التوثيق:

-التوثيق في مصادر التراجم.

-التوثيق في كتب الأخبار.

ب/ بنية النص في كتابات المؤرخ المغربي.

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية.

د/ المصداقية والمُيولات المذهبية والسياسية.

أ/ التوثيق:

يُؤْثَر عن روَّاد" **المدرسة الوضعانية**" قولهم:" لا تاريخ بدون مؤرخ"، و:" لا تاريخ بدون وثيقة" [1]، ولعل العلاقة القائمة بين المؤرخ السلطاني -الذي عادة ما يكون إما كاتبًا في الديوان، أو مؤرخا يدون ما يمليه عليه سلطانه-، لم يمنعه من الاستثمار في هذه المكانة فاتجه استناده إلى الوثائق التي عادة ما تكون" مراسلات ملكية" و" الكتابات السلطانية" - التي يكتبها السلطان نفسه- على شاكلة الخطابات والبعثات الدبلوماسية وغيرها، لينتج لنا تاريخا قائما على الوثيقة.

كما كان إخباريو العصر الوسيط قد أقاموا سردهم على نحو واسع بناءً على الشواهد الشفهية [2]، ولم تعد الكتابة تمثل السند الوحيد للذاكرة.

في هذا الفضاء -المغربي- تأخذ الرواية الشفهية وجها تاريخيا حقيقيا فقد جعل منها مؤرخ البلاط الموحدي مصدرا فاعلا للكشف في مرحلة أولى عن الأحداث التي كانت تدور داخل الحاشية والبلاط الملكي الموحدي، سبب ذلك هو قربه من الحدث التاريخي ومزامنته له، ودعوة السلطان على التدوين واهتمامه بمجال الكتابة، مثل قوله:" سمعت"، " أخبرني"، " قال لي"...

ذلك أدَّى إلى تضافر المادة الخبرية لدى المؤرخ بين الخبر الشفهي، ونص الوثيقة، أو أن يعطي الحظوة للخبر المادي الكامن في الكتب حينا، وللشهادة السمعية حينا آخر.

---

(1)- عبد الله العروي؛ مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م، ط4، ص19.

(2)- JOUTARD, Histoir orale, in Dictionnaire des sciences historiques, sous la direction de André Burguière, Paris, 1986.

" التاريخ الشفاهي" ضمن كتاب: محمد حبيدة؛ من أجل تاريخ إشكالي: ترجمات مختارة، جامعة ابن طفيل، 2004م، ط1، ص105.

- التوثيق في كتب التراجم:

القاضي عياض (476هـ - 544هـ) من خلال كتابه" ترتيب المدارك":

أبو الفضل عياض بن موسى الأندلسي ثم السبتي المالكي" [1] الشهير الذكر" [2]، كان بَحرًا في العلم، إذ أخذ عما يقارب المائة شيخ. تولى منصب القضاء وله العديد من التصانيف أبرزها" **ترتيب المدارك**" وهو موضوع دراستنا.

تنوعت مصادر المؤرخ بين المؤلفات والإسماع والمسائلة والرواة والمشايخ، ذكر بعضها في مقدمة كتابه مثل قوله:" وأكثر تعويلي فعلى كتابي" التستري" و"الضراب" [3]، وأخرى اكتفى بذكرها في مؤلفه مع بداية الخبر، وعليه يمكن تصنيف موارده إلى:

- **الكُتب والمُصَنَّفات:** وأبرزها مؤلفات القاضي أبو عبد الله التستري -وهو من القضاة المالكية-، وله كتاب في ثلاث مجلدات في" فضائل مالك وأخباره"، وأبو محمد بن إسماعيل الضراب المصري، كما اتسمت مصادره بالتنوع فكان منها المشرقية كمؤلفات ابن عبد الحكم و"الواقدي"، والأندلسية: كمصنفات الرازي وابن الفرضي وحافظ الأندلس" ابن عبد البُر" [4].

- **الإسماع والرواية:** بدون شك أن من أبرز مصادر القاضي عياض السماع [5] من المشايخ الذين أخذ عنهم العلم، و كان اعتماده على الإسناد فيما يتعلق بالأحاديث النبوية. كقوله:" روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ " أو" روت عائشة رضي الله عنها ".

([1])- أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليَحْصُبِي الأندلسي ثم السبتي المالكي. تولى القضاء ووصف بالذكاء والفهم، وكان حريصا على طلب العلم، فكان حافظا للقرآن وعارفا للأخبار والتواريخ. وصفه الملاحي يقوله:" بَحر علم وهضبة دين وحلم"، وقال عنه ابنه أبو عبد الله:" نشأ على عفة وصيانة".

(أبو الفضل عياض؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، صح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ط1، مقدمة التحقيق ص4)؛ (شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ط1، ج20، ص212-213)؛ (أبو العباس أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، لجنة نش التراث الإسلامي، المملكة المغربية، د. ت، د. ط، ج1، ص23، ج3، ص7).

([2])- عبد الرحمان ابن خلدون؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6، ص307.

([3])- أبو الفضل عياض؛ المصدر السابق، ج1، ص9.

([4])- نفسه، ج1، ص9-10، 49، 76، 445، 454، 499.

([5])- نفسه، ج1، ص59، 76، ج2، ص63، ج1، 17.

ابن الزيات (ت627هـ / 1229م) في كتابه" التشوف إلى رجال التصوف"

أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي الشهير بـ:" ابن الزيات" [1]، وصفه أحمد بابا التنبكتي بقوله:" الشيخ الفقيه القاضي الأديب" [2].

اعتمد ابن الزيات على مصادر متعددة المشارب:

- **الكتب التاريخية وكتب الحديث والتراجم:** إما في الحديث كقوله:" وخَرَّجَ أبو داود عن أنس بن مالك" [3]، أو كتب التاريخ كقوله:" خرج أبو جعفر الطبري في تاريخه" [4] أو "ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب" [5]، أو:" قال ابن إسحاق في حديثه"[6]، و:" ذكره ابن بشكوال فقال" [7].

- **الرواية والسمع:** روى عما يزيد عن الخمسين راويًا، فكانت عبارة" سمعت" و" قال"، "حدثني " و"حدثنا" و" أخبرني" أو" أخبرنا" [8] حاضرة بقوة في مصنفه.

- **رؤياه ومشاهداته:** غريب هو أن يسجل المرء رؤيا شاهدها في منامه أو أن يؤرخ لها، غير أنها كانت حاضرة في كتاب المؤلف كقوله:" رأيت أنا في النوم" [9].

وهو يشترك في بعض المصادر التي اعتمدها القاضي عياض في -مداركه-.

ابن عبد الملك المراكشي (ت/703هـ) في كتابه" الذيل والتَّكمِلة":

([1])- التشوف إلى رجال التصوف؛ تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م، ط2، ص31؛ خير الدين الزركلي؛ الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7، ج8، ص257.

([2])- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج؛ تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 2000م، ج2، ص265.

([3])- ابن الزيات؛ المصدر السابق، ص59.

([4])- نفسه، ص72.

([5])- ابن الزيات؛ المصدر السابق، ص65.

([6])- نفسه، ص73.

([7])- نفسه، ص118.

([8])- نفسه، ص170، 232، 93، 106، 96، 137، 267، 35، 136، 85، 86، 109.

([9])- نفسه، ص299.

أعتبر كتاب" ابن عبد الملك المراكشي"[1] من جنس كتب التراجم والأعلام، وهو حلقة كتب" التّكمِلات والصِّلَات، ولم يقتصر على التكملة لكتاب واحد أو صِلته لآخر، ولكنه تصدى للإتمام واشتغل على الاستدراك في وقت واحد فأصاب الشاكلة وأرضى الغاية في عصره، تراجمه من أهل المغرب والأندلس أو المشرق الطارئين عليها من بداية القرن الأول إلى القرن 6-7هـ، ولا يذكر ترجمة -من سبقه إليها- إلا لزيادة فائدة، أو تصويب خطأ [2]، تنوعت مصادره بين كتب التراجم، ، والوثائق وبرامج الشيوخ، والمشاهدة، والسماع [3].

- **الكتب والمصنفات:** اعتمد على مصنفات ابن حزم الأندلسي [4]، وأبو بكر بن القوطية [5]، ومؤلفات أخرى مثل" ردع الجاهل" لـ ابن الزبير [6]، ومؤلفات ابن الأبّار كقوله:" قال ابن الأبّار " [7].

- **السماع والمسائلة:** وكانت في الغالب من الشيوخ الذين لقيهم وأجازوه، مثل قوله:" أنشدني شيخنا أبو الحسن الرَّعيني (ت/ 666هـ)"، أو قال:" حدثني" [8].

- **القراءة من المشايخ:** وهي كثيرة كقوله:" وقرأت على شيخنا" ، أو قال:" وذاكرت"[9] وفي الغالب يكتفي بقوله:" قال المصنف عفا الله عنه" [10].

([1])- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي الشهير باسم:" ابن عبد الملك المراكشي"، (634 هـ- 703 هـ)، شهيد مالقة، ومؤرخ المغرب، كان لأسرته المنحدرة من الجاه والنسب فضل في تكوينيه العلمي، فلسان الدين بن الخطيب في "ريحانة الكتاب " يشير إلى:" بيته النبيه"، عاش في أكثر القرون ازدهارا بالعلوم وأكثرها اضطرابا في السياسة، وتلقى على كبار الشيوخ، ولازمهم مجلسا.

(ابن عبد الملك المراكشي؛ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1، ج1، مقدمة التحقيق ص6، 81-82، 94؛ 201)؛ (أبو الحسن النباهي؛ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، 1983م، ط5، ج4، ص331).

([2])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص202، شمس الدين السخاوي؛ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ط1، ص237.

([3])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، ص 444، 446، 533، ج2، ص155، 200.

([4])- نفسه، ج1، ص230.

([5])- نفسه، ج1، ص230.

([6])- نفسه، ج1، ص236.

([7])- نفسه، ج1، ص255.

([8])- نفسه، ج1، ص242، 272، ج1، ص242، 259.

([9])- نفسه، ج1، ص244، ج1، ص242.

([10])- نفسه، ج1، ص230، 235، 252.

- التوثيق في كتب الأخبار:

البيدق (ت 555هـ / 1160 م) من خلال كتابيه:" أخبار المهدي" و" المقتبس":

أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق [1] الذي كان رفيقا "لابن تومرت" (ت/524هـ) ومؤرخه وكاتب سيرته، ورفيق خليفته من بعده "عبد المؤمن بن علي" [2].

تنوعت المادة المصدرية لنص البيدق -سواء كان ذلك- في كتابه" أخبار المهدي" أو" المقتبس" [3] بين كتب الأنساب والأخبار، غير أن الغالب عليها كان ما شاركه من أحداث أو شهده من وقائع.

---

(1)- كاد يجمع أغلب الباحثين أن لفظ البيدق يكون:" بالدال المعجمة" كقولنا -البيذق-في حين أشار باحث آخر أن لفظه يكون (al-Baydhaq) مردفا ما يقابله بالمعنى المعجمي (The Pawn)، وهو أغلب ما تكاد أن ترسمه المدونات الأجنبية بكتابتها (al-Baydhaq).

في التراث الإسلامي ومدونات " تفسير رؤيا المنام"، وتطلعات اليقظة يقال أن:" رؤيا البيذق في المنام تدل على تنقل الأحوال من بداية إلى نهاية صالحة"، و(بذق) البَاذِقُ والبَاذَقُ الخمر الأحمر ورجل حاذِقٌ باذِق إتباع وسئل ابن عَبَّاس رضي الله عنهما عن البَاذِقِ فقال سبقَ محمد البَاذِقَ وما أسكر فهو حرام قال أَبو عبيد البَاذِقُ والبَاذَق كلمة فارسية عُرِّبت فلم نَعرفها قال ابن الأَثير: وهو تعريب باذَه وهو اسم الخمر بالفارسية.

ويمكننا القول أن لفظه يكون بقولنا" البيدق" كقولنا كان بيدقه أي:" خادمه ومطيعه"، وهي ما توحي به تعبيرات المؤلف نفسه كقوله :" وعبدكم الفقير المؤلف"، وفي موضع آخر:" جنَّ الليل ناداني المعصوم: يا أبا بكر ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر، فدفعته له وقال لي: اسرج لنا سراجا، فكان يقرأه على الخليفة من بعده وأنا يومئذ ماسك السراج...".

(أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح: عبد الوهاب ابن منصور دار المنصور، الرباط، 1971م، مقدمة التحقيق، ص5)؛ (ابن منظور؛ لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د. ت، د. ط، ج10، مادة (بذق)، ص14)؛ (عبد الغني النابلسي، تعطير الأنام في تفسير الأحلام، باب الباء، مادة (البيذق)، ص62).

- William Al-Sharif, The Dearest Quest A Biography of Ibn Tumart, Jerusalem Academic Publications, Scotland, 2010, P 78.
- Allen J. Fromherz, THE ALMOHADS THE RISE OF AN ISLAMIC EMPIRE, TAURIS Publisher, London, 2012, P 12-14, 65-68, 72-78
- Amar S. Baadja, Saladin, the Almohads and the Banu Ghaniya: The Contest for North Africa (12th and 13th centuries), Brill publication, Leiden, 2015, P 193.
- Gholamali Haddad Adel, et. Al, HISTORY AND HISTORIOGRAPHY: An Entry from Encyclopaedia of World of Islam, British Library, Landon, 2012, first Publisher, P 173.

(2)-William Al-Sharif, Opcit, P 78; Allen J. Fromherz, Opcit, P 12-78; Amar S. Baadja, Opcit, P 193; Gholamali Haddad Adel, Opcit, P 173.

(3)- أبو بكر بن علي الصنهاجي؛(أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين)؛ (المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب)، تح: عبد الوهاب ابن منصور دار المنصور، الرباط، 1971م.

ولعل الصياغات -التي كان يرسمها في كتابَيه- توحي إلى مدى قربه لموقع الحادثة إما مشاهدا لها أو مشاركا في صنع الحدث كقوله:" جنَّ الليل ناداني المعصوم: يا أبا بكر ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الأحمر، فدفعته له وقال لي: اسرج لنا سراجا، فكان يقرأه على الخليفة من بعده وأنا يومئذ ماسك السراج..." [1]، أو قوله:" فخرجنا..." وفي موضع آخر:" وبعده الفقير المؤلف..."[2] -أي البيدق-، وفي حين غيابه فإن الأحداث ينقلها إما عن طريق الرواة أو عن شاهد عيان كقوله:" ومما نقل عن بعض أشياخ الموحدين..." [3]، وذكر في موضع آخر:" قال ابن الجواهر..." [4].

وتنوعت مادته أيضا بين الاستناد إلى نصوص "القرآن الكريم"[5] والحديث الشريف[6]، وبين الشعر[7] والنثر -إما لتأكيد قول أو إثبات غرض أو مغزى-، كما يظهر أنه كان يسند الأحاديث النبوية لرواتها كقوله:" عن أبي هريرة عن النبي ﷺ "، أو" عن ابن عباس" [8].

ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ) من خلال كتابه" تاريخ المن بالإمامة" [9]

يعتبر ابن صاحب الصلاة ضمن المؤرخين الذين عاشوا في كنف البلاط الموحدي، لذا اعتبر كتابه" تاريخ المن بالإمامة" أحد المدونات الرسمية التي أرخت للسلطة.

فصاحبه عاش معظم حياته واحدًا من موظِّفي البلاط الملكي، وشاهدًا على الأحداث الواقعة في كواليس السلطة والبلاط الحاكم، ذلك جعلنا ندعي أن الأحداث المدونة في كتابه لا تخرج عما يسمى" التاريخ الشفهي" من روايات الشيوخ الموحدين وأخبار المؤلف نفسه.

([1])- أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ المصدر السابق، ص17.

([2])- نفسه، ص12، 23، 35-38.

([3])- نفسه، ص43.

([4])- نفسه، ص93

([5])-أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب ابن منصور دار المنصور، الرباط، 1971م، ص9-12.

([6])- نفسه، ص9-12.

([7])- نفسه، ص18، 19، 20.

([8])- نفسه، ص11.

([9])- لخضر بولطيف؛ فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015م، ص25.

المكانة التي كان يحظى بها لدى الخلفاء الموحدين سمحت له بالاطلاع على الكثير من المراسلات الملكية والخطابات الخاصة بالخلفاء، فاستعملها كشواهد لأخباره ومصادر لمرويّاته، فحق لنا القول أن التوثيق عند ابن صاحب الصلاة تمثل في: المؤلفات التاريخية؛ وقفنا على مؤلفين اثنين:" المسعودي" [1]، و"ابن عربي" [2]، المراسلات الملكية [3]، واحتلت مكانة لابأس بها عند المؤلف كشواهد وأدلة.

الرواية الشفهية [4] وأغلبهم موظفين سامين لدى السلطة، والمشاهدة [5]؛ فهو كان أحد المرافقين لموكب الخليفة.

ابن الكردبوس (توفي بعد 595هـ) من خلال كتابه" الاكتفاء في اخبار الخلفاء":

عاش ابن الكردبوس ببلاد الجريد -بتونس- بعيدا عن مقاليد السلطة، ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم، -الإسكندرية تحديدا-، وأخذ العلم عن الشيوخ ودرَس الحديث وألّف كتابين أحدهما في الحديث" **الأربعون حديثا**" والكتاب الثاني في التاريخ وهو" **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**"، ونحسب أنه تأثر بعلم الحديث فكتب مؤلفه بآليات المحدثين وعلى منهجهم.

وعادة ما تتحكم المادة الإخبارية بمضانها على المؤرخ، ولما كان -الاكتفاء- ما هو إلا تاريخا للخلفاء بدأه صاحبه من السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، وتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، وأخبارا عن الفتوح في المشرق والمغرب حتى قيام الموحدين. فإن أغلب مصادره كانت تاريخية -مشرقية- و-مغربية أندلسية- كما يلي:

- **كتب السيرة والفتوح:** كتب ابن إسحاق (ت/151هـ)، وابن هشام (ت/218هـ) [6].

([1])- عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط3، ص288.

([2])- نفسه، ص185-186.

([3])- نفسه، ص225، 272، 277، 299، 260، 262، 70، 304، 77، 78، 229، 230، 233، 244، 201.

([4])- نفسه، ص112، 118، 283، 110، 211، 257، 70، 323، 165، 118، 271، 149، 315، 152.

([5])- نفسه، ص، 180، 349، 195، 200، 216، 258، 283، 388، 302.

([6])- عبد الملك ابن الكردبوس؛ الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2008م، ط1، ج1، ص168، 281، 144، 168، 281.

- **كتب التاريخ الحولي والموضوعي:** في مقدمتها" مروج الذهب" [1] للمسعودي (ت/346هـ) ، وكتاب" **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**" [2] لـ **ابن عبد البُر** (ت/463هـ) حافظ الأندلس ومؤرخها، اعتمده مُؤرخون مغاربة مثل" **القاضي عياض**" (ت/544هـ) -كما رأينا سالفا- وأندلسيون من أمثال:" **ابن بشكوال**" (ت/578هـ) و" **ابن الأبار**" (ت/658هـ).

- **كتب في السياسة:** مثل" **الإمامة والسياسة**"[3] المنسوب لـ" **ابن قتيبة**" (ت/270هـ).

عبد الواحد المراكشي (توفي بعد 621هـ) وكتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"[4]

عاش عبد الواحد المراكشي منذ نعومة أظافره على صلة قريبة بالبلاط الموحدي، غير أن بعض التطورات، التي يكتنفها الغموض، جعلته يتجه نحو المشرق في ريعان شبابه، - بحجة أداء فريضة الحج وطلب العلم-، فصنف هناك كتابه المعجب الذي غلب عليه الاختصار والاقتضاب، وتنوعت مصادره -رغم قلتها- ما بين الكتب والرواية والمشاهدة:

- **كتب التاريخ:** مثل قوله:" حكى أبو مروان بن حيان المؤرخ صاحب أخبار الأندلس" أو:" قال أبو سعيد بن يونس في تاريخه" [5]، وكان أكثر اعتماده على الحميدي باعترافه[6].

---

(1)- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص535، 561، ج3، ص1344.

(2)- نفسه، ج1، ص114.

(3)- نفسه، ج1، ص538، ج2، ص770.

(4)- أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي لقبه:" محي الدين" من مراكش فاشتهر باسم:" عبد الواحد المراكشي"، (581هـ - بعد 621 هـ / 1185 م - بعد 1224 م)، عهد أحداث الربع الأخير من القرن السادس، وعاش إلى أواخر الثلث الأول من القرن السابع الهجري. لم يعهد أن شهد له بالأخذ عن كبار المشايخ، لكن ومن خلال نصوص الكتاب يتضح أنه نزل فاس وقرأ القرآن وجوده، ونزل الأندلس والتقى بالعالم الطبيعي " أبي بكر ابن زهر"، وكان قريبًا منه، وقريبًا من الأمير أبي إسحاق ابن أبي يوسف المنصور الموحدي حاكم إشبيلية.

(عبد الواحد المراكشي؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963م، ص446)؛ (أنخيل بالنثيا؛ تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص248)؛

- Abdo-l-Wahid Al-Marrekosh, The History of the Almohades, edited by: R. P. A. Dozy, LEYDEN, LONDON, 1847, P V-, ALLENJ. FROMHERZ, Ibid, P 12-13.

(5)- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص45، 51، ومصادر أخرى اعتمدها نجدها في الصفحات؛ ص 54، 57، 61، 63

(6)- نفسه، ص،69، 76، 122، 181، 82، 83.

- **الرواية الشفوية:** من العلماء والشيوخ والطلبة كقوله:" أخبرني بعض مشايخ الأندلس"[1]، وعادة ما تكون بالإسناد مثل:" أخبرني الفقيه أبو القاسم عن أبيه عن جده".

- **المشاهدة:** ومشاهداته تلك التي عاصر بها دولة الموحدين:" شهدت ذلك اليوم"[2].

ابن حماد الصنهاجي (ت638هـ/ 1231 م) وكتابه" أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم"[3]

من مؤرخي الشيعة الإسماعيلية، كانت مصادر توثيقه -ومن خلال تتبعنا للنص- محدودة بين **المشافهة والمؤلفات الشيعية والرسائل الرسمية** [4]، عبر عنها بقوله:" فهذه جملة من أخبار بني عبيد الله قيدتها في هذا التأليف فبعضها التقطته من مفرقات التواليف، وبعضها عرفني به من وثقت منه بالتعريف "[5].

ابن القطان(ت/ 650هـ) في كتابه" نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"[6]

([1])- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص78، 250، 59، 94، 141، 75، 259، 78.

([2])- نفسه، ص407.

([3])- أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي. ولد بالقلعة ونشأ بها، ثم ارتحل إلى بجاية ونزل بها وقرأ من جلة شيوخها، كأبي مدين شعيب ابن الحسن الصوفي (ت/ 594هـ)، وعبد الحق ابن عبد الرحمان الإشبيلي، فبلغت مقروءاته نحو 222 مُؤَلفًا، ودخل الأندلس وسمع بها، واستقضي القضاء في الجزيرة الخضراء، ثم ولي قضاء سلا، من بعدها عام 613هـ. كان مؤرِّخًا وأديبًا، وشاعرًا، اشتهر بالتصنيف، توفي سنة 628هـ. قال عنه معاصره أبو العباس الغبريني:" الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد من كبراء الأئمة وفضلائهم".

(ابن حماد الصنهاجي؛ أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ، مقدمة التحقيق، ص33)؛ (شمس الدين الذهبي؛ المستملح من كتاب التكملة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ط1، 165-166)؛ (أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ط2، 218-220)؛ (الزركلي؛ المرجع السابق، ج6، ص281).

([4])- ابن حماد الصنهاجي؛ المصدر السابق، ص85.

([5])- نفسه، ص34.

([6])- أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم الحميري الكتامي الفاسي الشهير بـ:" ابن القطان"، (ت 650 هـ / 1252 م)، عاش حتى النصف الثاني من القرن الـ7هـ، وأخذ على شيوخ مراكش علما كثيرا. أدرك خلافة أبي حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الخليفة الموحدي.

(حسن بن القطان؛ نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1، مقدمة التحقيق ص26-28)؛ كما رجعت إلى كل من شمس الدين الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ=

يعتبر " ابن القطان" من ضمن مؤرخي البلاط الموحدي، إذ تولى القضاء والإفتاء على مذهبهم، لذا غلب على مصادره الوثائق والمراسلات الملكية والخطب الرسمية نظرا للحظوة التي كان يتمتع بها وللمنصب الذي كان يتقلده سمح له الاطلاع على هذه الرسومات الملكية

- **الكتب:** مثل:" **قال الوَرَّاق**" [1] **أو:" قال ابن الرَّاعِي**" [2]، :" **أما ما ذكره اليَسَع**"[3]

- **الرسائل:** تمثلت في الرسائل السياسية ورسائل خاصة بالخلفاء [4].

- **الرواية والسماعة** كقوله:" سمعت أبي" [5]، وصيغة:" أخبرني" [6].

=وخير الدين الزركلي في الأعلام -ترجما لوالد ابن القطان- لتطويل سلسلة الاسم وإثبات النسب الصحيح للمؤلف. (شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ج4، ص1407، الزركلي؛ المرجع السابق، ج4، ص331).

- Linda G. Jones, The Power of Oratory in the Medieval Muslim World, Cambridge University Press, Printed in the United States of America, 2012, first published, P 187.

([1])- ابن القطان؛ المصدر السابق، ص144.

([2])- نفسه، ص133، 166، 237.

([3])- نفسه، ص83، 123، 124، 128، 140، 146، 249.

([4])- نفسه، ص116، 188، 237.

([5])- نفسه، ص162، 181.

([6])- نفسه، ص72.

ب/ بنية النَّص في كتابات المؤرخ المغربي:

هل أثَّر قرب المؤرخ من الحدث السلطاني في تحديد تاريخيته؟ أو مصير توثيقه وتقييد مادة مصدريته؟ المبحث السابق بدون شك يعطينا إجابة مقنعة عن مجموع الإشكاليات التي تواجه الباحث، وهو في الوقت نفسه يفرض علينا التحليل أكثر وتتبع بنية النص.

لطالما كان المؤرخ الموحدي قريبًا من الحدث أو كان أكثر انشدادً للظاهرة التاريخية إن لم يكن مشاركا فيها، وكثيرا ما نجد أن تطور الكتابة التاريخية مرتبطة بتطور الحدث التاريخي أو المجال ونعني به: كل من الواقعة، الحدث أو المكان، أو الحادث، وأطراف الحدث التاريخي، وأغلبها تصب في المفهوم الذي قصده" **ابن خلدون**" بصيغة" المجال".

هذا أدى بالمؤرخ إلى التأريخ للملك، وتاريخ السلطة والأنساب والأسر الحاكمة والتاريخ الحدثي –الأحداث–، "**فالبيدق (ت/ 555هـ)**" في تاريخه مثل بامتياز ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الحدثي، تاريخ الوقائع، تاريخ الأخلاق، الإجرام وكان بأسلوب كتب الرحلة والسيرة، ومثَّل أيضا نصًا في التاريخ السُلالي، و" **ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ)**" و" **ابن القطان (ت/650هـ)**" بدون شك مثَّلا أحد أبواق السلطة وأيديولوجيتها السياسية والمذهبية، كما مثل" **أبو بكر الصنهاجي (ت/638هـ)**" صورة لتاريخ الوقائع. أما عن مرجعيتهم فهي جد مبتكرة إذ هي نتاج ما عاينوه وشاهدوه أو حتى كانوا مشاركين في أحداثه في الغالب فضلا عما حضي به بعض المؤرخين من معلومات وثائقية نظرا لاتصالهم بالأمراء والحكام.

وقد أثرت مركزية الدولة على تغيير مسار المؤرخ أو وجهته من التأريخ للماضي إلى التأريخ للأحداث الفورية، اتجه نحو تأسيس ما يسمى بالخطاب التاريخي، واعتبر من دون شك كنص تأسيسي اعتمده جل المؤرخين القادمين، وبداية تشكل مدرسة مغربية مثَّلها **البَيْدق، وابن صاحب الصلاة، وابن القطان، وابن حماد، وابن عبد الملك المراكشي** وغيرهم.

يعتبر كتاب" **ترتيب المدارك**" من جنس مدوّنات" التراجم والطبقات"، رتّب فيه أسماء أعيان المالكية وأعلامهم وبيّن طبقاتهم وأزمانهم، ابتدأه بفضل -مدينة النبي- وفضل علمائها، ثم ترجم لمالك ابن أنس -باعتباره إمام المذهب- ونسبه ومآثره وآثاره، والفقهاء من أصحاب مالك من بعده، ثم ترجم لأعلام المذهب وأتباعهم مراعيا في ذلك الإعتبار الجغرافي -من المشرق ونحو بلاد المغرب- والإعتبار الزمني -على ترتيب الطبقات-، وصولا إلى عصره [1].

في حين كان بإمكاننا اعتبار " **التشوف إلى رجال التصوف**" كتاب في تراجم المتصوفة، وفي التاريخ المنقبي والكرامات من الصحابة والأولياء؛ والكرامات الصوفية في بلاد المغرب. يحمل الكتاب ما يمكن أن نسميه بـ: التاريخ الكلي؛ أو" الاسطوغرافيا التاريخية" التاريخ الاجتماعي والتاريخ الثقافي في بلاد المغرب. جمع فيه أخبار 279 ترجمة من بينهم 19 من التراجم المبهمة من المجهولين والمجهولات ممن كانت له صلة بمراكش، وأغمات، دكالة، تَادلّا، هسكورة، سجلماسة، تلمسان، وبجاية [2].

فكان النص التاريخي أسطوغرافيا، ومزيجًا بين الأخبار وبين النص الديني والنص السياسي النص الاجتماعي والنص الميثولوجي، وتنوعت مضامين النص فكانت: التراجم، الأخبار، الأحداث، النص الأدبي من الشعر والنثر، والنص الديني من قرآن وحديث.

وعن كتاب" **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**" لـ:-ابن عبد الملك المراكشي- فيعتبر من صنف كتب التراجم والأعلام، لم يقتصر على التكملة لكتاب واحد أو صلته لآخر ولكنه تصدى للإتمام واشتغل على الاستدراك في وقت واحد فأصاب الشاكلة وأرضى الغاية في عصره، تراجمه من أهل المغرب والأندلس أو المشرق الطارئين عليها من بداية القرن الأول إلى القرن 6-7هـ، ولا يذكر ترجمة -من سبقه إليها- إلا لزيادة فائدة، أو تصويب خطأ [3].

([1])- أبو الفضل عياض؛ المصدر السابق، ص7-10.

([2])- ابن الزيات؛ المصدر السابق، ص31-38.

([3])- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص202، شمس الدين السخاوي، المصدر السابق، ص237.

يمكن تصنيف كتاب " **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**" من جنس كتب " الآداب السلطانية" أو ضمن مدونات " الأدب السلطاني"، والكتاب في صنف التاريخ والحوليات يؤرخ فيه صاحبه بداية تاريخ الموحدين.

في حين كان بإمكاننا إدراج -الكتاب الثاني-" **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**" في صنف كتب الأنساب والأسر الحاكمة، ولعل المؤرخ أراد -من خلال كتابيه- التأصيل لشرعية المهدي والخليفة من بعده عبد المؤمن في الحكم وإضفاء طابع الهيبة والبركة على أعمالهما.

فأصَّلَ للنَّسب الشريف للإمام "المهدي ابن تومرت" وأتباعه وطبقاتهم وأسمائهم وقبائلهم وخليفته من بعده عبد المؤمن بن علي، استهل كتابه بذكر المواعظ والنصائح والاعتبار لأن النسب لا يدخل الجنة بل كان سبيل ذلك فضل الله تعالى، والعمل الصالح وفلاح الأعمال[1]، مستندا في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه.

يمكن استثمار النص في" التاريخ العسكري" -تاريخ الوقائع والأحداث- مثل وقعة البحيرة، تاريخ الأخلاق -تاريخ الانحرافات- تحت ما يسمى" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، في حقل المنظومة الإجتماعية المغربية، وتاريخ الاجرام(تاريخ الإجرام ابن تومرت مع" التمييز"، عبد المؤمن؛ "الاعتراف"، "التطهير").

مثل مصنف "**ابن صاحب الصلاة**" -**تاريخ المن بالإمامة**- كأحد مدونات التاريخ السلطاني، أرخ فيه صاحب لدعوة المهدي ابن تومرت و" الخلافة المُؤمَنية" وأبنائه من بعده.

والكتاب لا يخرج عن أحداث وأخبار بلاط الخليفة وحاشية السلطان وفيه من التاريخ الحدثي -تاريخ الوقائع-، وتاريخ المنتصر، وقد أشار ابن صاحب الصلاة في عبارة صريحة عن محتوى كتابه ومقتضياته بقوله:" لم أعرض لذكر أخبار ابن مردنيش في هذا التاريخ ولا لذكر الثوار الأندلسيين، إذ قد شرحت ذلك في التأليف المسمى بتأليف" ثورة المريدين"، فأغنى عن ذكرهم في هذا التاريخ -المن بالإمامة- وإنما أَرَّخت لغلبة الأمر عليه" [2].

([1])- أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص9-12.

([2])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص321-322.

أما كتاب -**ابن الكردبوس**- " **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**" فيمكن تصنيفه ضمن كتب التاريخ الإسلامي أو من جنس كتب -التاريخ العام- يؤرخ فيه صاحبه لسيرة النبي المصطفى، والخلفاء من بعده، والتدوين لعهود الخلفاء، والتأريخ للحكام والملوك من بعدهم، من العهد الأموي إلى عهد الخليفة الموحدين مشرقا ومغربا، العُدوَة الأندلسية والحاضِرة العلية -مراكش-، مدينة السلام -بغداد-، وشام المدينة دمشق.

" **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" [1] ألفه -صاحبه- ليكون تعريفا لمن أعجب من أهل المشرق بأحوال أهل المغرب وهو ضمن كتب" التاريخ العام"، موجزا فيه الأخبار والأحداث على السرد الموضوعي للأحداث -تاريخ حدثي-، وهو لا يعدو عن كونه تلخيصا للأحداث، فامتاز بالدقة في الوصف وضبط الأخبار:" وإنما أوردنا من ذلك ما تدعو الحاجة إليه، من غير تعرض إلى مالا حاجة بنا إليه" [2]، فتضمن أخبارا عن الفتوح" التاريخ العسكري"، وفضائل المغرب -العدوة-، والأندلس -الجزيرة-، وأخبارا في السياسة" التاريخ السياسي" -من عهد الولاة إلى العهد الموحدي-.

- **التاريخ الديني والفكري** يحتوي الكتاب أخبار متنوعة، فهو يصور لنا الحياة الفكرية في بلاد المغرب مثل انقطاع علم الفروع [3]، ويترجم لمجموعة من العلماء من أمثال بقي ابن مخلد، ابن حزم الظاهري، ابن رشد، وابن طفيل [4]، كما لم يتوانَ في وصف وذكر المصنفات العلمية مثل:" قراضة الذهب في ذكر لئام العرب" لـ:" لمالك ابن وهب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة، رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليوس في الأحكام، وكتاب المجسطي في علم الهيئة، وعليه حواش بتقييده" [5]، ومؤلفات ابن طفيل:" ورأيت لأبي بكر هذا... فمن

([1])- في الطبعة الفرنسية والإنجليزية جاء بعنوان:" تاريخ الموحدين".

- Abd El-Wahid Merrakechi, Histoire des Almohades, Traduite et Annotée par: E. Fagnan, ADOLPHE JOURDAN, Alger, 1893; Abdo-l-Wahid Al-Marrekosh, The History of the Almohades, edited by: R. P. A. Dozy, LEYDEN, LONDON, 1847.

([2])- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص414.

([3])- نفسه، ص354.

([4])- نفسه، ص49-51، 93، 311، 314.

([5])- نفسه، ص252.

رسائله الطبيعيات... "حي ابن يقظان"، ومن تصانيفه الإلهيات "رسالة في النفس" [1]، مؤلفات ابن رشد:" تلخيص كتب الحكيم يعني- أرسطوطاليس- في جزء واحد في نحو من مائة وخمسين ورقة..."أما محنته -ابن رشد- فيلخصها في سببين [2].

- **التاريخ الاجتماعي وتاريخ العامة** يصور من خلاله نظرة العامة للسلطة، وبعض من حياتهم [3]، أما اليهود فكانوا يمارسون مبدأ التقية [4].

- **الطبيعة، النص، الأدب، في توظيف التاريخ** سواء كان عن قصد، أو عن غير قصد فالمؤلف وظف أسلوبًا طال ما نجده في كتب أخرى وهو توظيف الطبيعة في التاريخ:" دخلت- هنا المتكلم أبو جعفر وزير عبد المؤمن- على عبد المؤمن وهو في بستان له قد أينعت ثماره، وتفتحت أزهاره، وتجاوبت على أغصانها أطياره، وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان..." [5]؛ألا يعني هذا أن اللقاء بين الوزير أبو جعفر والخليفة عبد المؤمن، كان على عهد الربيع؟!

يعتبر كتاب" **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**" ضمن" كتب الأنساب" فهو يؤرخ للأسر والسلالات الحاكمة، في تاريخ خلفاء الدولة العبيدية يؤرخ لسيرتهم في المغرب (298هـ- 361هـ)، وفي مصر (362هـ- 564هـ) [6]، كما يمكن اعتباره ضمن كتب تاريخ الأحداث والتاريخ العسكري؛ استطاع من خلاله توصيل الأحداث الواقعة في المشرق ضمن أحداث المغرب مثال ذلك ذكره لأعمال" القرامطة"، وقتلهم للحُجاج، واقتلاعهم للحَجر الأسود.

وتمازج النص الشيعي التاريخي والنص الأدبي والشعر [7] الموجه في استجلاء الوَقار وفرض الهيبة والتأصيل للشرعية، فهو يورد في تراجمه اسم الإمام ونسبه وتاريخ ولادته، ويذكر الأحداث الواقعة في عهده وأعماله، ابتدأه من" عبيد الله المهدي" في المغرب مرورا بـ:" محمد القائم" إلى آخرهم الخليفة" العاضد" في مصر.

([1])- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص312.

([2])- نفسه، ص315، 384.

([3])- نفسه، ص368.

([4])- نفسه، ص383.

([5])- نفسه، ص270.

([6])- Gholam ali Haddad Adel, Opcit, P 174.

([7])- ابن حماد الصنهاجي؛ المصدر السابق، ص48، 64، 66، 74، 76، 91.

يعدُّ كتاب" **نظم الجمان** لـ:-**ابن القطان**- في التاريخ والحوليات من جنس كتب البلاط، ألفه صاحبه لخليفة الموحدين المرتضي، يُشَرِّع لقرارات الدولة ويؤسس لأوامر السلطان سار به على نحو مؤرخين كانوا سابقين لعهده من أمثال البيدق" أخبار المهدي" و" المقتبس"، وأبي القاسم المؤمن في "فضائل المهدي" ثم ابن صاحب الصلاة في "المن بالإمامة".

فكان محتوى الكتاب في العضة وفضائل المهدي وعصمته[1]، وفي مزايا خلفاء الدولة، وكرامات عبد المؤمن ابن علي، وفي المقابل من ذلك عمل على اتِّهام مخالفيهم المرابطين بالكفر والتجسيم والنفاق والجهل، كان قد ورثها من نصوص البيدق وابن صاحب الصلاة، حتى أنه أحل دمهم وأباح قتلهم "وهو في ذلك يسوق أخبارا وتنبؤات بَيِّنَة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم" [2].

والكتاب لا يختص بإقليم معين أو مجال محدد، حيث نرى صاحبه اجتهد في ذكر أخبار عامة فيما يمكن أن نسميه بـ:" التاريخ العام"، فهو يأتي بأخبار عن الأندلس، وبلاد المشرق وحتى مصر عهد الدولة العبيدية:" وينفرد بأحداث عنها لا نكاد نجدها حتى في كتب المؤرخين المصريين أنفسهم من أمثال المقريزي وابن تغري بردي" [3].

- **التاريخ السياسي** تحدث عما حصل في المشرق من اغتيالات الخلفاء أو استحكام السلطة كقوله:" وفيها كان موت الراشد العباسي، وولاية عمه المقتفي لأمر الله تعالى أبي عبد الله محمد" [4].

- التاريخ العسكري[5]- التاريخ الاقتصادي[6]- التاريخ الاجتماعي وتاريخ العامة وأحول الفلاحين وأحوال الأرض وتاريخ الطبيعة [7].

([1])- ابن القطان؛ المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص38-48.

- Linda G. Jones, Opcit, P 187.

([2])- ابن القطان؛ المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص48.

([3])- نفسه، ص51.

([4])- نفسه ، ص257، 145، 252، 166.

([5])- نفسه، ص266، 215.

([6])- نفسه، ص222.

([7])- نفسه، ص243، 258، 257، 252، 243، 242، 235، 228.

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية:

أفصح القاضي عياض في مقدمة كتابه" ترتيب المدارك" عن النهج الذي سلكه، وعمله في تواليفه، مُعملا فيه أدوات المؤرخ النابه من مقارنة، ونقد، وتتبع، واستقراء.

وعمل على فحص الروايات التاريخية ومدى صحتها، أو ردَّها إلى مكامنها، مستعملا في ذلك نقده للمصادر والمؤلفات، ومقارنته للأخبار فيقول:" وتتبعت من غيرهما ما فيه زيادة فائدة، أو نادرة لم تقع فيهما"، أو قوله في خبر مولد الإمام مالك –رحمه الله–:" اختلف في مولد اختلافا كثيرا، فالأشهر ما روي من ذلك قول" [1]. مستعملا في ذلك آلية المقارنة.

ومنهجه في إيراد الأخبار:" ولم أزل أستقرئ سبل مسالكه، وأفحص عن وجوه مداركه وأقيد أثناء مطالعتي شوارده، وأجود، مادة بحثي، جوائده، إلى أن اجتمع لي من ذلك، بعد طول المباحثة الشديدة، والعناية التامة، والمطالعة المتواترة".

أما عن قيمته العلمية فنرى أن صاحبه أدرى بقيمته –مع اعترافه– بمن سبقه دون أن يوصلوا الغاية ودون أن يستوفوا بالوقوف على البغية:" إذ هو فن لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا اختص به تصنيف رائع، يوصل الطالب إلى الغرض، ويقف بالراغب؛ مع شدة حاجة المجتهد والمقلد إليه، وضرورة الفقيه والمتفقه إلى ما ينطوي عليه" [2].

نهج مؤلف" **التشوف إلى رجال أهل التصوف**" في كتابه التحري والتقصي للأخبار، ونقل الأحداث من الثقاة، ورجّحَ أصحها وأقربها إلى الصواب يقول في مقدمة كتابه:" وتحريت في نقل ذلك على أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح والمستورين ما استطعت، وربما ذكرت بإسنادي ما نقلته من ذلك، وربما سمعت الخبر من عدة طرق بألفاظ كثيرة، فاعتمدت على أصحها سندا وأقربها إلى الصواب لفظا، ونبهت عند ذكر كل رجل على مقامه المعلوم له" [3]، حلاه الثعالبي(ت/875هـ) بـ:" الموثق المحدث الثقة الصدوق" [4].

([1])– أبو الفضل عياض؛ المصدر السابق، ص9، 49.

([2])– نفسه، ص8.

([3])– ابن الزيات؛ المصدر السابق، ص33–34.

([4])– نفسه، مقدمة التحقيق، ص13.

ومن خلال تتبعنا للنص التاريخي للمؤلف نجده عارفا بالإسناد وتخريج الأحاديث، ويقابلها، ويسند الروايات والأخبار التاريخية إلى مخبرها، فكان متحريًا لرواته متقصّيًا لأخباره دقيقًا في ألفاظه، اعتمده من جاء بعده فكان مصدرا للقادمين والمحدثين.

وصاحب كتاب" **الذيل والتكملة**" –**ابن عبد الملك**– فكان لا يفتأ يكتب ويقيد ويقابل ويعارض ما يقع له من كتب حتى استوت له ملكة علمية فذة ناقدة تجلت في كتابه "الذيل والتّكملة" فلم يخل بنقده من استحق النقد ولم يتجاوز من استحق الاعجاب بقدره مشارقتهم ومغاربهم وأندلسيهم [1].

أما منهجه فقد أشار في مقدمة كتابه إلى القصور والخلل الناجم عن سابقيه في ترتيب تراجمهم تدفعهم إلى:" ذكر الرجل بين الرجلين، وهو أقدم موتا من المذكور قبله مجاورا له، أو متقدما عليه برجل أو رجلين فصاعدا، أو تتأخر وفاته عنه على تلك النسبة" [2].

وبمنأى عن ذلك يبرز منهجه المتكامل في فن التراجم من خلال كتابه " الذيل والتكملة"، معتمدا على ترتيب المعجم المشرقي، مع خصوصية انفرد بها عن غيره تمثلت بتقديمه في باب " العين" من اسمه عبد الله، وعبد الرحمان، لأنها أحب الأسماء إلى الله، وفي موضع الوسط بينهما من اسمه عبيد الله " لشرف الإضافة" وتعقيب اسم عبد الرحيم بعد عبد الرحمان تبركا [3] بقوله تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ سورة الفاتحة[I] [4].

وجمع فيه بين الاستيعاب والإسهاب في التراجم واحتوائه على النقد كما يتبين لنا أنه كان عارفا بالأنساب مدركا لأخبارها، فجاء نصه مزيجًا بين الأخبار والتاريخ، والنثر والشعر ولا غرابة أن جاءت أعمال عبد الملك المراكشي حبلى بأنساق منهجية، تعكس باع هؤلاء في الكتابة التاريخية، فقد تلقى سلافة الفكر التاريخي في فن التراجم عن أبي جعفر ابن

([1])– ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص82–94؛ الونشريسي؛ وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، نوابغ الفكر، د. ت، د. ط، ص7؛ مصطفى الشكعة؛ مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، I99Iم، ط6، ص705.

([2])– ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، جI، ص 208–209.

([3])– نفسه، جI، صI3I، 2I3.

([4])– القرآن الكريم؛ سورة الفاتحة، الآية [1].

الزبير صاحب" الصِّلة" مما جعله عارفا بالأسانيد والتاريخ والأدب واللغة والعروض وفضلا عن مشاركته في الفقه [1].

أما "**البيدق**" فقد سرد أخباره على المنهج الحولي مرتبا وفق السنين كقوله:" وفي عام..."، والموضوعي باعتبار الأحداث، وكان تقسيمه لها على شاكلة الأبواب فيقول مثلا:" باب نذكر فيه دخول سيدنا المعصوم..." [2]، ولا شك أنه اعتمد على المقارنة في الروايات التاريخية وكان ينتقي منها ما توافق ميولاته، أو تحقق مبتغاه.

ونجد أن" البيدق" كان عارفا بعلم الأنساب فهو ما فتئ يقارن بين الروايات ويغلب رواية عن الأخرى. فتنوعت المادة المصدرية لمؤلفه جعلنا ذلك نراه بصورة الناقد المؤرخ فهو ينقل الأخبار من مصادر يثق بها فيقول مثلا عن نسب الإمام المهدي:" بنقل من يوثق بنقله من قرابته وغيرهم..." [3]، أو عبارة:" وأما ما يروا في نسبه..." [4]، وفي موضع آخر غير موضع هذا يقول:" ويذكر أيضا أن نسبه..." [5].

لعل قولنا أن غياب المقارنة عند مؤلف" **تاريخ المن بالإمامة**" -**ابن صاحب الصلاة**- تتحكم فيه نوعية الأخبار -المادة الخبرية- أو الأحداث التي يسردها في مؤلفه.

فهو عادة ما كان يؤرخ لأحداث عصره، ومصادره كانت الرواية الشفاهية -التاريخ الشفهي-، من شيوخ الموحدين، أو خطابات الخلفاء أنفسهم. بالإضافة إلى مشاهداته للوقائع والأخبار.

أما صاحب تاريخ" **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**" -**ابن الكردبوس**- فإنه اقتصر على النقول وهي متنوعة وكثيرة، ولم يذكر مصادره في مقدمة كتابه، ولم ينقدها أو يعلق عليها أو يذكرها بأي خبر كان، كما أن طريقة توثيقه كانت مختلفة ومتنوعة.

([1])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، 94، 124.

([2])- أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ أخبار المهدي ابن تومرت، ص94-95، 11-13، 20.

([3])- أبو بكر بن علي الصنهاجي؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص12.

([4])- نفسه، ص13.

([5])- نفسه، ص13.

فهو عادة ما يعزو الروايات إلى الراوي مباشرة أو أن يأخذ الروايات من المصادر المتقدمة بسندها. وأحيانا يسبق الرَّاوي بعبارة " رُوِي عن فلان" [1]، أو" رَوى فلان" [2]، أو كقوله:" حدث جماعة" [3]، أو " حدث فلان" [4]، أو " ذكر جماعة ممن عني بجمع التأريخ"[5].

والنص لم يخلُ من بعض الأخبار المكذوبة والضعيفة ذات الصبغة الأسطورية. ذلك أن المؤلف رأى أن عمله يتوقف في حدود الذكر للرواية والخبر التاريخي، دون محاولة لتمحيصها أو نقدها.

أمَّا كتاب" **المعجب لعبد الواحد المراكشي**" فقد كان تلخيصا لأخبار المغرب، والكتاب مرتب على السرد الموضوعي للأحداث [6]، فامتاز بالدقة في الوصف وضبط الأخبار:" وإنما أوردنا من ذلك ما تدعو الحاجة إليه، من غير تعرض إلى مالا حاجة بنا إليه" [7].

سالكا في ذلك تحري الصدق والإنصاف، والتعريف بمصدر الخبر:" وتجشم الضرورة من عنى بالأخبار إلى معرفته، ولم أثبت في هذه الأوراق إلا ما حققته نقلا من كتب، أو سماعا من ثقة عدل أو مشاهدة بنفسي، هذا بعد أن تحريت الصدق وتوخيت الإنصاف في ذلك كله، وجهدت ألا أنقص أحدا ذرة مماله، ولا أزيده خردلة مما لا يستحق، وبالله أستعين"[8]

في حين أكد مؤلف" **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**" النسب الشريف للحكام العبيدين، ويبدو من خلال كتاباته أنه كان متأثرًا بالمصادر التي نقل عنها، فهو يضفي صفة القداسة

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص482، 466.

([2])- نفسه، ج1، 176، ج2، ص841.

([3])- نفسه، ج3، ص1351.

([4])- نفسه، ج3، ص1458.

([5])- نفسه، ج2، ص835.

([6])- في كثير موضع يُذكر في سرده للأحداث إلى حدود ما تتراء له أنها مناسبة ليعود مرة أخرى ويذكر أحداث خلفها منبها ذلك بقوله:" رجع الحديث عن..."، عبد الواحد المراكشي؛ المصدر نفسه، ص269، 316،347.

([7])- نفسه، ص414.

([8])- نفسه، ص414.

والبركة على الحكام الذي أرّخ لسيرتهم، ولا يأتي بالانتقادات، بل كل شيء مؤسس ومشرع له، ويتحدث عن مصادره بقوله:" فبعضها التقطته من مفرقات التواليف، وبعضها عرفني به من وثقت منه بالتعريف، وما من شيء إلا وقد أفرغ في قالبه ونسج على منواله"[1].

أما صاحب" **نظم الجمان**" فقد رتب أخباره على طريقة" التاريخ الحولي" [2]:" في هذه السنة"[3] أو:" باب أخبار سنة" [4]، ولأن التأريخ بالحوليات ينجم عنه التقطيع في سلسلة السنوات والأحداث ذلك أدى للتخلص منه في مواضع كقوله:" وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة" [5].

د/ المصداقية والميولات المذهبية والسياسية:

تكاد تتفق جل الروايات التاريخية على أن" **القاضي عياض (ت/544هـ)** " لم يكن ذو نزعة سياسية موحدية ولا حتى ممن أقرو بعصمة" المهدي ابن تومرت" وعقيدته، غير أن رواية محمد بن عياض –ابن القاضي– مثلت الاستثناء البارز إذ أن والده" بادر بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين" [6].

وبداية مع رواية شمس الدين الذهبي الذي أكد بقوله:" بلغني أنه قتل بالرمح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت" [7]، وأكد ذلك ابن خلدون من أن القاضي عياض:" تولى كبر دفاعه عنها –سبتة–" إذ كان رئيسها يومئذ" بدينه وأبوّته ومنصبه" [8]، وهي رواية من دون شك –في سياقها– تنم عن حدة الصراع والمجابهة.

([1])– ابن حماد الصنهاجي؛ المصدر السابق، ص34.

([2])– Gholamali Haddad Adel, Opcit, P 174.

([3])– ابن القطان، المصدر السابق، ص78، 152، 267.

([4])– نفسه، ص69.

([5])– نفسه، ص262.

([6])– التعريف بالقاضي عياض؛ تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، ص11.

([7])– سير أعلام النبلاء، ج20 ص217.

([8])– العبر، ج6، ص307.

كما أن المصادر المعاصرة للحدث تتعاضد مع هذا الرأي" فالبيدق" [1] في كتابه "**أخبار المهدي**" يجعل من القاضي عياض في -القائمة السوداء- ضمن مجموع الثائرين على الدعوة المؤمنية.

وكان لـ:" **ابن الزيات**" في كتابه" **التشوف**" تأثير عكس في مؤلفه الحالة السياسية في وقته، ومتصوفة القرن السادس والسابع الهجريين مثلت شريحة فاعلة في الحياة السياسية [2]، وإذا اعتبرنا -ابن الزيات" التشوف"- نموذجا لهذه الشريحة، وكان أحد قضاتها [3]، فقد جعل من التأريخ للتراجم أحد الوسائل المؤثرة في صنع القرار السياسي، والخطاب التاريخي.

غير" **أن ابن عبد الملك المراكشي**" عاش في أكثر القرون ازدهارا بالعلوم وأكثرها اضطرابا في السياسة، وهو آخر عهد الموحدين، وبالرغم من الصِلات القريبة بينه وبين الموحدين الذي تربطه بهم صلة الدم، إلا أن ذلك لم يمنعه عن التوجه إلى الحياة العلمية وتلقى عن كبار الشيوخ ولازمهم مجلسا [4]، بعيدا عن متطلبات السياسة والخلفاء.

كان" **البيدق (555هـ)** " خادم" ابن تومرت" ورفيق دربه، ومؤرخه [5]، ولعل قربه من -المعصوم- كان له أثره، وهذا المنصب ورثه حتى عهد خليفته من بعده" عبد المؤمن بن علي.

هذا الولاء لا تفصح عنه المصادر بل يظهر من ثنايا حديثه وفصول كتابيه الواصلين إلينا، وأنه أحد الأقطاب الذين قامت على سواعدهم الدعوة الموحدية، فبقدر ما يحمله من

([1])- أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، ص86.

([2])- الطاهر بونابي؛ التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ط1، ص11.

([3])- أحمد بابا التنبكتي؛ المصدر السابق، ص265.

([4])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، ج1، مقدمة التحقيق، ص82، 94؛ السملالي؛ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ط2، ص331.

([5])- William Al-Sharif, Opcit, P 78; Allen J. Fromherz, Opcit, P 12-78; Amar S. Baadja, Opcit, P 193; Gholamali Haddad Adel, Opcit, P 173.

الأخبار التي تضمنها الدقة والطرافة انفرد بها عن غيره من المدونات الأخرى، بقدر ما تحمله تلك الأخبار من سذاجة صاحبها تومئ إلينا ولاء صاحبها -لسلطانه - المهدي.

وفي المقابل كان" **ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ)** " أحد الذائدين عن السلطة الموحدية، واعتبر نفسه مشرعًا ومبررًا -في الوقت نفسه- لقرارات الحاكم وأوامر الخليفة، وتغليب الثيولوجيا في التعليل والتفسير، ذلك بحكم قربه للبلاط وباعتباره أحد موظفي السلطة.

وقد أشار بعض الباحثين [1] إلى إمكانية اعتبار" **ابن الكردبوس (توفي بعد 595هـ)** " من بين المؤرخين الذين تأثروا بدعوة" المهدي ابن تومرت" "كالبيدق" و" ابن صاحب الصلاة"، و" ابن القطان"، غير أننا نرى خلاف ذلك.

عبد الواحد المراكشي والمهدي ابن تومرت: لعل الحماس الذي شهدناه في كتابات المؤرخين الموحدين، من أمثال البيدق، ابن صاحب الصلاة، ابن القطان، قد بلغ فتوره مع كتابات عبد الواحد المراكشي، فالمهدي عنده لا يعدو عن كونه رجلاً صالحًا ادعى المهدوية وانتسب إلى النسب الشريف، وطمع في الملك. ولم يتوانَ بوصفه ذلك فيقول:" ذكر قيام المهدي المتسمى بالمهدي" [2]، أو:" ومحمد هذا رجل من أهل السوس" حتى أنه يتبرأ ويضعف حادثة لقياه لأبي حامد الغزالي [3]،" وكان على مذهب أبى الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة، وكان يبطن شيئا من التشيع"[4].

أما عن سبب طاعة البربر لإمامهم المهدي فما هي إلا طباع القوم اتفق له فيها أيضا من العجائب التي تثبت في باب الكلم الموافقة للقدر، يستدل في ذلك بقصة يونانية أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع بقوله:" أهديت إلى الإسكندر فرس ببعض بلاد الغرب لم تلد الخيل أسبق منها، لم يكن فيها عيب إلا أنها لم يسمع لها صهيل قط، فلما حل الإسكندر في تطوافه بجبال دَرَن، وهي بلاد المصامدة، وشربت تلك الفرس من مياهها،

([1])- ينظر: عبد المجيد النجار؛ المهدي ابن تومرت، جامعة الأزهر، 1982م، طI، ص59؛ ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، جI، مقدمة التحقيق، ص28.

([2])- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص245.

([3])- نفسه، ص245.

([4])- نفسه، ص255.

صهلت صهلةً اصطكت منها الجبال، فكتب الإسكندر إلى الحكيم يخبره بذلك؛ فكتب إليه: إنها بلاد شر وقسوة، فعجل الخروج منها"، فهذه حال بلاد القوم، وأما خفة سفك الدماء عليهم فقد شهدت أنا منه أيام كوني بسوس ما قضيت من العجب [1].

هل مكانة المؤرخ في بلاط العباسيين وبمنأى عن الموحدين حالت على إظهار المعتقد؟

في حين كان" **ابن حماد الصنهاجي**" من المؤرخين الشيعة، ولعله كان الوحيد في الساحة الإسماعيلية نظرا لاندثار التشيع الإسماعيلي من المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر. ويبدو من خلال كتاباته أنه كان متأثرًا بالمد الشيعي الإسماعيلي، مما خوله أن يؤرخ لدولتهم في بلاد المغرب [2]، ويورد بقوله:" ودعاني إلى هذا التأليف ما دعا المؤلفين المؤرخين إلى أمثاله، وما من شيء إلا وقد أفرغ في قالبه ونسج على منواله" [3].

فهو يضفي صفة القداسة والبركة على الحكام المؤرخ لسيرتهم، ولا يأتي بالانتقادات، بل كل شيء مؤسس ومشرع له، يقول عن نسب عبيد الله الشيعي:" والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه" [4]، وهذا تأييد واضح من المؤلف ويورد في وصف أحداث وفاته:" وتوفي عبيد الله يوم الإثنين الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة 322هـ، وكسف القمر في تلك الليلة كسوفا كليا" ؟! [5].

كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" والمشروع السياسي لدولة الموحدين. ألفه صاحبه لخليفة الموحدين المرتضي، يشرِّعْ لقرارات الدولة ويؤسس لأوامر

([1])- نفسه، ص259.

([2])- محمود إسماعيل؛ سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الانهيار، دار مصر المحروسة، مصر، 2005م، ط1، ص160-164.

([3])- ابن حماد الصنهاجي؛ المصدر السابق، ص34.

([4])- نفسه، ص35.

([5])- نفسه، ص49.

السلطان سار به على نحو مؤرخين كانوا سابقين لعهده من أمثال البيدق" أخبار المهدي" و" المقتبس"، وأبي القاسم المؤمن في "فضائل المهدي" ثم ابن صاحب الصلاة في "المن بالإمامة".

فكان محتوى الكتاب في العضة وفضائل المهدي وعصمته [1]، وفي مزايا خلفاء الدولة، وكرامات عبد المؤمن ابن علي، وفي المقابل من ذلك عمل على اتهام مخالفيهم المرابطين بالكفر والتجسيم والنفاق والجهل، كان قد ورثها من نصوص البيدق وابن صاحب الصلاة، حتى أنه أحل دمهم وأباح قتلهم[2]، "وهو في ذلك يسوق أخبارا وتنبؤات بينة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم"[3].

فكان مؤرخا في البلاط الموحدي أصّل لشرعية السلطة وشرعنة الحكم، مارس الفتية والقضاء على عهدهم وبمذهبهم مؤسسا. قال فيه عبد الملك -وهو أحد تلامذته-: كان متزلفا لخلفاء دولة الموحدين وللخليفة المرتضي، ومظاهرته لهم بالحق وبالباطل. فكان مصطفا للإخلاص يتظاهر بالولاء لغاية الجاه والسلطان فنال بخدمة السلطان دنيا عريضة[4].

([1])- ابن القطان؛ المصدر السابق، ص38-48.

- Linda G. Jones, Opcit, P 187.

([2])- ابن القطان؛ المصدر السابق، ص48.

([3])- نفسه، ص48.

([4])- نفسه، ص26-38.

الفصل الثاني

منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ الأندلسي (العهد الموحدي).

أ/ التوثيق

ب/ بنية النص في كتابات المؤرخ الأندلسي.

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية.

د/ المصداقية والمُيولات المذهبية والسياسية.

أ/ التوثيق

الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي –العهد الموحدي– كان يمثلها في الغالب إما مؤرخين رسميين تابعين للسلطة –الدولة الموحدية– أو عملوا في الدواوين التابعة لها ويمثلون إيديولوجيتها أو كانوا يتقلدون منصب خارج أصوار القصر كالقضاء أو التدريس.

بالنسبة للمؤرخين الرسميين –مؤرخ البلاط– فعادة ما كانوا يعكسون صورة الاستبداد وإيديولوجية السلطة وأوامر الحكام فكانو" أبواق دعاية ضد خصومهم"[1]، وغالبا ما كانوا يضمون إلى أسوار سلطتهم المؤرخين والكتاب الذين عملوا في الدواوين، لذا غلب على كتاباتهم الأسلوب الأدبي والحكائي والسرد.

وما نلاحظه عند هؤلاء هو تأثرهم بالجانب الأدبي في مؤلفاتهم وعادة ما يمثلون إحدى صور السلطة غير أن أهميتهم تكمن في المادة التي نقلوها إلينا عبر كتاباتهم فهم كانوا ينقلون عن الرسائل والوثائق الرسمية للدولة نظرا للمكانة التي كانوا يحضون بها عند السلطان أو المنصب الذي كانوا يشتغلون فيه –كما رأينا ذلك–.

أما المؤرخين القضاة –الأندلسيون– سواء كانوا فقهاء أو محدثين أو خارج تلكم الحلقة، فغالبا ما كانت كتاباتهم من جنس كتب التراجم والطبقات وكانوا يكتبون خارج أبراج السلطة بمنأى عن إيديولوجية الدولة –إلى حد ما–، تميزت كتاباتهم بالدقة في الأسلوب وبلاغة التعبير لذلك حق لنا أن ندعي أنهم أسقطوا أدوات القضاء ومسطرة الضبط والدقة والتحقيق ومن جرح وتعديل على صدق الخبر وحيثيات الحادثة وتراجم الرجال فيما يسمى بآليات الكتابة التاريخية، وهو ما سنراه في قادم الأبحاث.

([1])– محمود إسماعيل؛ سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الإنهيار4، دار مصر المحروسة، 2005م، طI، صI59.

عبد الحق ابن عطية (481هـ / ت 542هـ) في كتابه" فهرس ابن عطية"

أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الرحمان ابن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي، قال عنه" ابن بشكوال":" كان واسع المعرفة، متفننا في العلوم"، وصفه" شمس الدين الذهبي":" الإمام العلامة شيخ المفسرين كان إماما في الفقه قوي المشاركة، ذكيا فطنا مدركا، من أوعية العلم" [1].

كان" ابن عطية" مفسرا وفقيها -كما رأينا- فكان ضابطا في تواريخه ودقيقا في مصادره دون أن يهمل سلسلة الإسناد لبعض الكتب المروية إلى مؤلفيها، فبلغت حوالي 120، وتنوعت بين مدونات الكتب والمراسلات أو الرواية، والمشافهة:

- **الكتب والمصنفات:** منها المؤلفات التاريخية ومنها ما غلب عليها الجانب الفقهي كالحديث، والشرائع، مثل قوله:" أخذت عن كتاب التفريغ في مسائل الفقيه" [2].

---

(1)- كان عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه مقيدا من التقييد سني العقيدة مفسرا للقرآن مجيدا للشعر والأدب قاضي الأندلس ووزيرها، وصاحب التفسير الشهير، ذو الاطلاع الكثير والمثقف الواسع والمتضلع في علوم الشريعة وعلوم اللغة.

المجاهد الملثمي: من الذائدين عن حوزة الإسلام في الربوع الأندلسية فجاهد بسيفه تحت راية المرابطين، وبقلمه في ظل منبر الموحدين، لا يعرف كثيرا عن نشأته، ولكن ماذا ينتظر من غصن كانت شجرته متجذرة بنسبها في صلب أعماق العلم يانعة متنفسه في نسيم الإسلام، فهو الفقيه ابن الفقيه جد الفقيه وشيخ الفقهاء والفلاسفة، روى عن الحافظ أبيه، وأبي علي الغساني، والصدفي. وروى عن أبو بكر بن أبي جمرة، وكان من تلامذته؛ ابن طفيل الفيلسوف. استقضى لمدينة ألميرية عام 529هـ، وكانت وفاته عام 542هـ.

الفقيه المؤرخ: اشتهر ابن عطية بكونه فقيها ومؤرخا فابن خلدون مثلا يصف لنا تفسيره بقوله:" لما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد عبد الحق ابن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها"، في المقابل نجد ابن تيمية يقارنه بالزمخشري ومجمل قوله:" تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصلح نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع... بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير".

(عبد الحق ابن عطية؛ فهرس ابن عطية، تح: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط2، ص12)؛ (عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، د. ت، د. ط، ص2)؛ (ابن فرحون؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: مأمون ابن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ط1، ص280).

(2)- ابن عطية؛ فهرس ابن عطية، ص72.

أو يقول:" أخذت عن المدونة..." [1]، أو عبارة:" أخذت عن كتاب اللامع لأبي عبد الله الحسن" [2].

- **المراسلات:** يقول:" كتبت إلى الفقيه أبي عبد الله المازري سائلا عن..." [3].

- **الإسماع والمشافهة:** يقول مثلا:" قال لي أبي..."، أو يقول:" حدثني أبي..."[4].

ابن بشكوال (ت/578 هـ/ 1183 م) في كتابه" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"

أبو القاسم خلف ابن عبد الملك ابن مسعود ابن موسى ابن بشكوال الأنصاري القرطبي الشهير بـ:" ابن بشكوال" [5]، كان مؤرخ الأندلس في عصره وإمامها الحافظ القاضي الحجة مالكي المذهب [6].

الكتاب في صنف التراجم، ألفه" **ابن بشكوال**" ليكون صلة لكتاب" **ابن الفرضي** الموسوم " **تاريخ علماء الأندلس**" [7]، تنوعت المصادر التي نهل منها" **ابن بشكوال**" فكانت من

---

(1)- ابن عطية؛ فهرس ابن عطية، ص72.

(2)- نفسه، ص73.

(3)- نفسه، ص72.

(4)- نفسه، ص66، 75.

(5)- عني بالأخذ عن الشيوخ والأئمة، ونشط في ذلك، فأخذ عن أبي الوليد بن رشد، وأبي الوليد بن طريف، واستجاز العلماء، فكتب إليه أبو القاسم بن منظور، وأبو عمران بن أبي تليد وغيرهم، فلازم الفقهاء والأكابر بعلوم الإسناد والرواية. منصرفا لتحصيل العلم وقبلة لطلبة العلم لعلو اسناده وسعة مسموعه، قال ابن الأبار:" كان متسع الرواية شديد العناية بها حجة فيما يرويه ويسنده أخباريا ممتعا تاريخيا مفيدا... وصف بصلاح الدخلة وسلامة الباطن وصحة التواضع". كانت وفاته عام 578هـ / 1183م.

(خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2010، ط1، مقدمة التحقيق ص5-6)؛ (شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ط1، ج21، ص140)؛ (ابن تغرى بردى؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ط1، ص85)؛ (ابن قنفذ؛ الوفيات، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ط4، ص292)؛ (خير الدين الزركلي؛ الأعلام، ج2، ص311)

(6)- شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ص1339، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، ص430.

(7)- ابن بشكوال؛ المصدر السابق، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2010، ط1، ص31، شمس الدين السخاوي؛ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص237.

الكثرة والتنوع بمكان، بسبب ذلك استوجب ذكرها -مجملة- في مقدمة كتابه :" مخافة تكرارها في مواضعها" [1]، يقول" ليفي بروفنسال": وأسند عن شيوخه نيفا وأربعمائة كتاب بين صغير وكبير، تنوعت بين الكتب أبرزها:" الحميدي" "**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**"[2]، أما بقية المصادر -في الغالب مفقودة ولم تصلنا-، بالإضافة للمشاهدة والمعاينة والرواية[3].

ابن عميرة الضبي(ت 599هـ/ 1202م) وكتابه" بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس"

أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي يكنى " أبا جعفر" و" أبا العباس" [4].

وصف بـ: إمام عهده، معدودا في فقهاء بلده، حجة في الشورى والفتية، مؤرخا لأهل بلده، كان حسن الخط، صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، وكتب بخطه علما كثيرا، سمع من شيوخ كثر، فأخذ عن أبي عبد الله ابن حميد، وأجاز له" ابن بشكوال" وغيرهم، وروى عنه جماعة من كبار أصحابه شيوخ الأندلس من بعده [5].

الكتاب في مجمله " ذيل" وصل به كتاب " جذوة المقتبس" للحميدي [6]، مؤرخ القرن الخامس الهجري، الذي وقف في حدود تراجمه إلى 450هـ - خوله ذلك- الاعتماد عليه:"

([1])- ابن بشكوال؛ المصدر السابق، ص31.

([2])- نفسه، ص11، 31-35، رقم 175، رقم 242 ص161.

([3])- نفسه، ص11، 31-35، رقم 593 ص355.

([4])- ولد في لورقة شرق بلاد الأندلس، وكان مسافرا لطلب العلم، رحل إلى الإسكندرية لطلب العلم وبلاد المشرق لفريضة الحج وزار العدوة المغربية، ونزل ببجاية أين التقى بها "عبد الحق الإشبيلي". توفي بمُرْسِيَّة أين سقط عليه هدم فأخرج منه وبه رمق فمات ظهر يوم الأحد 25 ربيع الأول سنة 599هـ "وكانت جنازته مشهودة".

(ابن عميرة الضبي؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ط1، ج1، ص15-18)؛ (أنور محمد الزناتي؛ دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران، المملكة الأردنية الهامشية، 2011م، ط1، ص143).

- Ibn Umaira AL-Dhabbi, Bughyat Al Multamis fi Tarikh Rijal Ahl Al-Andalus, Edited By: Codera and J. Ribera, BIBLIOTHECA ARABICO-HISPANA, P VI. (النص العربي).

([5])- ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص17-18؛ محمد ابن مخلوف؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تخ: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م، ط1، ج1، ص233؛ السملالي؛ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ط2، ص102.

([6]) - Ibn Umaira AL-Dhabbi, Opcit, P VI.

فاعتمدت على أكثر ما ذكر، وزدت ما أغفله وغادره، وتممت من حيث وقف" [1]،-فاعتبر مصدره بالأساس-، كما جمع كتابه بين:

- **كتب التاريخ:** وكتاب عبد الرحمان بن عبد الحكم [2]؛ في أخبار فتح الأندلس، وقوله:" قال أبو عبد الله الحميدي في تاريخيه" [3]، في تراجمه.

- **كتب الحديث:** مثل:" صحيح مسلم"؛ حديث في ذكر فضل الأندلس [4].

- **الإسناد** في الأحاديث والأخبار [5]، **الرواية والسماعة** كقوله:" قال لي أبو محمد علي ابن أحمد"، أو قوله:" وأخبرني غير واحد" [6].

ابن عسكر المالقي(ت/636 هـ)[7]- ابن خميس الأنصاري[8] في تاريخ" أعلام مالقة"

([1])- ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص22.

([2])- نفسه، ص28.

([3])- نفسه، ص69.

([4])- السابق، ص30.

([5])- نفسه، ص23-69.

([6])- نفسه، ص39، 70.

([7])- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبيد الله بن خضر بن هارون الغساني المالقي الشهير بـ:" ابن عسكر المالقي". (584 هـ - ت 636 هـ / 1188 م - 1238 م)، كان عارفا بالحديث، ومؤرخا، اشتهر بالنبل في أخلاقه وعدله:" كان فقيها مجيدا لعقد الشروط، حافظا للغة أديبا، بليغا، مشاركا في العربية وقرض الشعر". ولد في حدود 584هـ ونشأ بمالقة وأخذ عن شيوخها العلم والرواية فاتسعت مشيخته كأبي الحجاج ابن الشيخ وأبي القاسم سمجون، وتنوعت معارفه والعلوم التي حصل عليها متفننا بها من علوم القرآن والفقه والنحو والتاريخ فأخذ عنه الطلبة أبرزهم؛ ابن أخته أبو بكر بن خميس، مارس الإفتاء، وتولى القضاء بمالقة وأقام العدل فحمدت أعماله وأحكامه وتوفي وهو قاضيا في شهر جمادى الآخرة من سنة 636هـ.

(ابن عسكر؛ أعلام مالقة، تخ: عبد الله المرابطي الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ط1، ص18، رقم 50)؛ (شمس الدين الذهبي؛ المستملح من كتاب التكملة، ص140-141)؛ (آنخيل بالنثيا؛ المراجع السابق، ص305)؛ (الزركلي؛ المرجع السابق، ج6، ص281).

([8])- أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس الأنصاري المالقي. (حي بين أعوام: 636 هـ - 642 هـ) ابن أخت ابن عسكر وأحد تلامذته بقوله:" محمد بن علي المشهور بابن عسكر، وهو خالي". لم تورد لنا كتب التراجم معلومات عنه، غير أن ما يمكن أن نورده أنه كان حيا بين أعوام 636هـ - 642هـ، كان فيها كامل الأهلية وقادرا على التأليف. واشتهرت أسرته بالعلم تدريسا وتأليفا، مزاولتا وخطابة.

(ابن عسكر؛ المصدر السابق، ص23-25، 50).

وعنوانه بتمامه" **الإكمال والإتمام، في صلة الإعلام، بمحاسن الأعلام، من أهل مالقة الكرام:** وهو بتسمية أخرى:" **مطالع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار، وتقييد ما لهم من المناقب والآثار**" [1].

لم يكمل ابن عسكر مؤلفه، ولا أرخ لشخصيته، فتمم كتابه ابن أخته وتلميذه ابن خميس وأرخ لشيخه، ونسي أن يكتب ويعرفنا بنفسه فلم يصلنا عنه إلا الشارد القليل.

الكتاب –ومن خلال استقراءنا لنص العنوان– في أصله ذيل على كتاب أصبغ ابن أبي العباس المسمى بـ:" الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام" [2]، وبالتالي يمكن إدراجه من جنس كتب التكملات والصِّلات في الغرب الإسلامي خلال القرن 7هـ، وتنوع توثيق المؤلف ومصادره بين الكتب والتقييدات والرواية الشفوية من المشايخ والأصحاب.

– **الكتب:** استمد فيه من تاريخ ابن الفرض، وصلة ابن بشكوال، مثل قوله:" وذكره ابن بشكوال فقال" [3]، وتاريخ الحميدي، والرازي، وابن حيان، بل ورجال مالقة المؤلف للحكم المستنصر (4]، أو:" وصفه الأديب أبو عبد الله ابن مرج الكحل في صدر كتابه" [5]، ومؤلفات ابن عسكر نفسه نقل منها ابن أخته بقوله:" هكذا ألفيتها بخط خالي" [6].

–**التقييدات والنصوص** قوله:" وجدته في بعض تقييدات الفقيه أبي عمرو ابن سالم"[7].

– **الرواية والمشافهة:** كانت من الشيوخ:" حدثني الفقيه" [8]، "أخبرني به شيخنا أبو إسحاق" [9].

([1])– ابن عسكر؛ المصدر السابق، ص28، فرانز روزنثال؛ علم التاريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ط2، ص640.

([2])– ابن عسكر؛ المصدر السابق، ص22، 36،

([3])– نفسه، ص75، 81.

([4])– نفسه، ص45؛ فرانز روزنثال؛ المرجع السابق، ص640.

([5])– ابن عسكر؛ المصدر السابق، ص156.

([6])– نفسه، ص150، 155، 327.

([7])– نفسه، ص153–208.

([8])– نفسه، ص93، 104، 212.

([9])– نفسه، ص154.

ابن الأبّار (ت-658 هـ) في كتابه" التكملة لكتاب الصلة"

الكتاب من جنس التراجم للأعلام مؤلفه ابن الأبار [1] حافظ الأندلس ومؤرخها في عصره، وهو ضمن سلسلة "**كتب التكملات والصلات**"، بالغرب الإسلامي.

بديهية الأمر لما كان التكملة ما هو إلا صلة لكتابين في نفس جنس المدونة التراجمية، وهما: الصلة" **لابن بشكوال**" [2]، وتاريخ" **ابن الفرضي**" [3]، أن يكونا عمدة من أستضاء بشعاعهم، أما مصادره المكثر من أخذها فكانت بين مشرقية بغدادية وأندلسية وغربية مغربية وأندلسية، ولعل الجديد في الأمر مشارب أخرى من أجناس أخرى كذلك، أندلسية اسبانية، إما يهودية الأصل أو قوطية الجنس. واقتصر ذكره على المكثر منهم في مقدمة كتابه:" تفاديا من عناء تكرارها عبئا" [4].

- **الكتب المشرقية** مثل: ابن عساكر:" تاريخ بغداد" [5]، **المغربية** مثل: القاضي عياض [6]، أو قوله:" ذكره الطبني" [7] -من طبنة -، **والأندلسية** كأبو بكر أحمد ابن محمد الرازي [8].

([1])- أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله ابن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي، الشهير بـ:" ابن الأبار".(595 هـ - 658 هـ / 1199 م -1260 م)، وصفه شمس الدين الذهبي: بالإمام العلامة البليغ الحافظ المجود المقرئ، وقال فيه ابن عبد الملك:" كان آخر رجال أهل الأندلس براعة واتقانا، محدثا مكثرا ضابطا عدلا ثقة ناقدا يقضا، مستبحرا في علوم اللسان، أعين عليه بوفور مادته وحسن التهدي إلى سلوك جادته"، وحلاه ابن الزبير بقوله:" محدث بارع حافل متقن وكاتب بليغ، كان متقدما متفننا في الحديث والآداب سنيا". فكان حافظ الديار الأندلسية وعالمها التراجمي في عصره، توسعا في المعارف. فكان من أبرز المؤرخين بالبلاد الأندلسية في عصره القرن الـ7هـ، بارعا في التاريخ، عارفا بعلم الرجال والتراجم، ألف للشيوخ، وكتب للملوك.

(ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ط1، ج1، ص7، 8، 18)؛ (ابن الأبار؛ الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ص7)؛ (شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج23، ص336).

([2])- ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص57، رقم 48 ص81، رقم 58 ص86، رقم 68، رقم 102،

([3])- نفسه، ج1، ص57، 75، 67.

([4])- نفسه ، ج1، ص54.

([5])- نفسه، ج1، ص56.

([6])- نفسه، ج1، ص56.

([7])- نفسه، ج1، رقم 49 ص82.

([8])- نفسه، ج1، ص56، ص58، ص62، ص64، ص65، ص66.

- **مصادر فارسية اسلامية وأندلسية** كان استعماله لها غير مرة، بل تعدد ذكرها، مما لا يسعنا تفاديها كقوله:" ذكر وفاته وأكثر أخباره ابن عزير "[1] أو:" وقرأت بخط ابن قوطة" [2].

- **القراءات:** وكانت حاضرة بقوة مثل قوله:" قرأت ذلك بخط " [3].

- **الرواية والسماعة** مثل:" حكى" [4]، أو:" حدثنا" [5].

ما يمكن أن ننوه إليه أن هذه المؤلفات ماهي إلا شرذمة من مجموع مؤلفات اعتمد عليها المؤلف، وهي إما مازالت مخطوطة، أو محققة، وأغلبها مفقودة ولم تصل إلينا مما يزيد من أهمية الكتاب الذي ندرسه.

ابن سعيد اليحصبي (ت/ 685 هـ) وكتاب" المغرب في حلى المغرب"

أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي المدلجي المغربي الأندلسي الشهير بـ:" ابن سعيد" [6]، تنوعت مصدرية التوثيق عند المؤرخ من كتب: التاريخ والجغرافيا-التراجم-الأدب مشرقية ومغربية-الرواية والمشاهدة.

- **كتب التاريخ:** الرقيق القيرواني (ق4هـ):" تاريخ إفريقية والمغرب" [7]، ابن حزم (ت/456هـ)"نقطة العروس في تواريخ الخلفاء"[8] والملاحي (ت/610هـ)" تاريخ غرناطة"[9].

---

(1)- ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، ج1، رقم 61 ص87، رقم 75 ص93.

(2)- نفسه، ج1، رقم 107 ص108.

(3)- نفسه، ج1، رقم 67 ص90، رقم 75 ص93، رقم 77ص94، ص121.

(4)- نفسه، ج1، رقم 148 ص138.

(5)- نفسه، ج1، ص60، 61.

(6)- ولد بقلعة يحصب بغرناطة عام 610هـ، نشأ ودرس واشتهر بها حتى كان واسطة عقد بيته، ودرة قومه، له التواليف الكثيرة، فكان المؤرخ، والاخباري، والشاعر، والأديب المبدع، وكان من بيت ملك ودار قرب للسلاطين الموحدين، فعمل للوزير ابن جامع الموحدي، كانت له رحة إلى المشرق، إلى حدود بغداد للحج، فنزل تونس واتصل بخدمة أبي عبد الله المستنصر بين 652هـ- 666هـ، إلى أن توفي بها عام 685هـ.

(ابن سعيد؛ المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ط4، ص6-8)؛ (عبد القادر بوباية؛ مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2014م، ص161).

(7)- ابن سعيد؛ المصدر السابق، ص15.

(8)- نفسه، ص15، 44، 45، 103.

(9)- نفسه، ص15.

-**الجغرافيا:** ابن حوقل" المسالك والممالك"[1] الحجاري" المسهب في غرائب المغرب"[2]

- **كتب التراجم:** ابن بشكوال" الصلة"[3] **كتب الأدب** الثعالبي ت/429هـ "يتيمة الدهر "[4]

ابن الزبير الغرناطي(627هـ- 708هـ) و كتابه" صلة الصلة"

أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم ابن الزبير ابن محمد ابن إبراهيم ابن الزبير ابن عاصم الثقفي العاصي الغرناطي النحوي؛ الشهير بـ:" ابن الزبير الغرناطي [5]، تنوعت مصادره بين كتب التاريخ والأدب، مثل كتاب " المغرب في محاسن المغرب" لليسع ابن عيسى [6]وأبي العباس أصبغ " أدباء مالقة" [7]، وهي كتب مفقودة مما يزيد من أهمية الكتاب الذي بين أيدينا، كما تلونت أخباره بطابع المشاهدة والسماعات.

([1])- ابن سعيد؛ المصدر السابق، ص14.

([2])- نفسه، ص14، 50، 59، 60، 71، 73.

([3])- نفسه، ص15، 58.

([4])- نفسه، ص16، 85.

([5])- ولد عام 627هـ، جمع بين العلم والحديث، والفقه والتاريخ، فكان: خاتمة المحدثين، وصدور العلماء والمقرئين، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث، وعمل تاريخا للأندلسيين ذيل به على الصلة لابن بشكوال. توفي -رحمه الله- بغرناطة سنة 708هـ، وتبعه في جنازته ثناء جميل، وجزع كبير.

(ابن الزبير؛ صلة الصّلة، تح: أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ط1، مج1، ص22)؛(شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ج4، ص1484-1485)؛(لسان الدين بن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص189-190، 192-193)؛(الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ط2، ج1، ص454)؛ (الزركلي؛ المرجع السابق، ج1، ص86).

([6])- ابن الزبير، المصدر السابق، رقم 1052، مج3، ص453.

([7])- نفسه، رقم 890، مج3، ص382، رقم 961، مج3، ص411.

ب/ بنية النص في كتابات المؤرخ الأندلسي:

من" **التاريخ العالمي**" إلى" **تاريخ المدينة الواحدة**" -مرورًا بـ:" **التاريخ العام**"،" **التاريخ الإقليمي**"، و" **التاريخ المحلي**"-، هكذا اتجه مؤرخ الأندلس في القرن-ين- **ال6هـ- الثاني عشر للميلاد و ال 7 هـ- الثالث عشر للميلاد.**

ظهور ما يسمى بـ:" **التواريخ المحلية**" والإقليمية والعزوف عن" **التاريخ العالمي**" والتاريخ العام الإسلامي تحكمت فيه أوضاع هذا القطر من العالم- الخطر النصراني- والتوجه نحو الاعتبار، فكان التاريخ في معظمه تاريخ مواعظ واعتبارات.

من خلال كتب السير والتراجم يعضدها في ذلك تطور الصراعات المذهبية والسياسية، يقول ابن خلدون[1]:" وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد... فقيد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره واقتصر على تاريخ دولته ومصره".

ظلت الكتابة التاريخية الأندلسية في حلقة ثقافية علمية -إلى حد ما- هي حلقة التراجم للعلماء والمشايخ والرجال بمنأى عن المناخ الحدثي السلطاني والسياسي.

([1])- المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 200I م، طI، ص7.

يعتبر **-فهرس ابن عطية-** في صنف التراجم للشيوخ -الفهرس-، برنامجا ضمنه مروياته وأسماء شيوخه، استطاع من خلال تدوين سيرته وترجمة شيوخه وبالتالي يمكن استثماره في التاريخ الثقافي لبلاد الأندلس -عهد الموحدين-.

أعطانا -ومن خلاله- تصورا للواقع الثقافي لبلاد الأندلس وبالتالي فإن أهمية الفهرس بتجاوز حدود غرضها -الترجمة لشيوخه- بلغ عدد شيوخه المترجم لهم نحو 30، فأعطى صورة واضحة لحياتهم العلمية والشخصية وآثارهم ومآثرهم وسني ولادتهم وتواريخ وفياتهم إن توفرت وما تقلدوه من مناصب، والكتب التي كانت محور الدرس والأخذ والعطاء وما طرء عليها ومن أدخلها وأسماء المحدثين والفقهاء والعلماء بالأندلس في القرن 6هـ، وقد صرح بذلك في مقدمته بقوله [1]:" هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم، وذكر ما رويته عنهم، ومن أجازني...".

في حين اعتبرنا **-الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم-** في صنف التراجم، ألفه ابن بشكوال ليكون صلة لكتاب ابن الفرضي الموسوم " تاريخ علماء الأندلس" [2]، ابتدأ تأليفه من حيث انتهى -سابقه- ابن الفرضي، ليستوعب التراجم التي نجمت بعده، ويستدرك بعض ما فاته منها، وقيد فيه أخبارهم وآثارهم، وسيرهم وبلدانهم، ومواليدهم وسنو وفياتهم، وعن من أخذوا من العلماء ومن روى عنهم من أعلام الرواة، وكبار الفقهاء.

ما يمكن أن ننوه إليه -بداية- أن تراجم المؤلف تتوقف على مدى إمكانية توفر المادة الإخبارية للمترجم، فنلاحظ أن بعض التراجم قد أسهب في الإخبار عنها، في حين اقتصر بعضها على النذر القليل، وأغلب ما اشتركت فيه التراجم اسم المترجم له واسم أبيه، وجده، ثم نسبه وذكر بلده وكنيته، وإيراد المشهورين من شيوخه، أو من روى عنهم ومؤلفاته -إن

([1])- ابن عطية؛ فهرس ابن عطية، ص40-47.

([2])- خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ المصدر السابق، ص31، شمس الدين السخاوي؛ المصدر السابق، ص237.

وجدت- أو تلامذته، ومؤهلاته العلمية، الصفات الخلقية والخلقية، الوظائف التي تقلدها، ثم في الأخير عام مولده وسنو وفاته [1].

ولا يخرج مؤلف -**بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**- من حلقة كتب التاريخ والتراجم، ترجم لرواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، وأرخ فيه لرجال الرياسة والحرب [2]، ولم يقصره على أهل بلده فقط، فضمنه للطارئين عليها من بلاد المشرق، وعدوة أهل المغرب، شمل[3] قرابة 1595 ترجمة من وقت افتتاحها إلى وقت عصره.

غير أنه شمل أخبارا عن الفتوح فيما يمكن أن نسميه بـ" تاريخ الوقائع" و"الأحداث".

استهل المؤلف فاتح كتابه بأحداث من -القرن 1هـ- جمعت بين أحداث في المغرب وأخبار عن المشرق، تحت عناوين مختلفة مثل:" سنة افتتاح الأندلس"، أما تراجمه فقد جمعت بين نصوص الحديث، والنثر في أخبار التاريخ، وبين الشعر [4].

اعتبارا لعنوان الكتاب" **أعلام مالقة**" والمحتوى، فإنه لا يخرج من جنس كتب" التراجم المحلية" أو" الكتب البلدانية" وهي تواريخ اهتمت بتدوين أخبار المدينة الواحدة أو الإقليم الواحد.

جمع فيه بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائها ومن سكنها أو دخلها أو اجتاز عليها، وأخبارهم وآدابهم وذكر محاسنهم [5].

استثمارا للتاريخ العلمي، الفكري، والثقافي لبلاد الأندلس

محتوى النص أوسع من عنوانه فشمل من أخذوا عنه من الفقهاء الأندلسيين، وشمل بعض من تاريخ الأندلس بين -القرنين الـ 5، وال 7 الهجريين-، من خلال تراجمه فإنه أعطى لنا صورة عن بيئة" مالقة" وحواضر الأندلس، وواقعها الثقافي في فترة معينة، وبالتالي

([1])- خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ المصدر السابق، رقم 76 ص77، رقم 582، رقم 585 ص349-351.

([2])- ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص22.

([3])- نفسه، ص22؛ أنور زناتي؛ المرجع السابق، ص143.

([4])- ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص32، 40-41، 47-48، 74، 76-77، 81، 94.

([5])- ابن عسكر؛ المصدر السابق، ص61، 72.

فإن المشهد الثقافي الذي صوره لنا المؤلف -في حقبة ما- لا يمكن لغيره أن يبعثه لنا باعتباره قد صب اهتمامه بحاضرة طالما كانت تشكل قطبا فكريا في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

ابتدأ تأليف كتاب" **التكملة لكتاب الصلة**" -لـ: **ابن الأبار**- سنة 631هـ وأنها نشرته الأولى سنة 636هـ، وظل يتعهده بالزيادة والحذف والتصحيح إلى آخر حياته [1]، وهو في ثلاثة أسفار[2]، من جنس كتب التراجم فكان ذكر الشخصية المترجم لها وسلسلة نسبه، وأصله، وبلده، وكنية واسم شهرته، والشيوخ الذين أخذ عليهم، ومن حدث عنه، ومؤهلاته العلمية، وما يتقلد من منصب، ومؤلفاته وتلاميذه، وفي الأخير سنة مولده وتاريخ وفاته، ثم يختمها من أين أخذ مادته ومصدره.

والكتاب انتقاه من تراجم الأدباء، تعليله في ذلك أنه صنف لهم تصنيفا خاصا بهم، يليق فيه ذكرهم، إلا من اشتهر منهم بالعلم وحضور المجالس [3]، كما أنه أفرد بابا خاصا للطارئين على الأندلس، وترجم لهم في كل باب تحت عنوان الغرباء، وتنوعت تراجمه بين الرجال والنساء، فكان عددهن 68 حواء [4].

المُغرب في حلى المَغرب: في مجمله 15 سفرا: ست أسفار لمصر، وثلاثة أسفار في ذكر بلاد المغرب، وستة أسفار خاصة بأخبار الأندلس، وصل إلينا ثلاثة أسفار: (11-12-13) بعنوان "**وشى الطرس في حلى جزيرة الأندلس**".

والكتاب كتب متواترا على مر 115 سنة تعاقب على تأليفه 6 مؤلفين آخرهم وخاتمه:" علي ابن سعيد" [5]، وهو في صنف:

([1])- ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص28-29، 52.

([2])- شمس الدين الذهبي؛ نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، تح: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، د. ت، د. ط، ج23، ص1604.

([3])- ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، ج1، 54.

([4])- محمد بشير العامري؛ مظاهر الإبداع الحضاري، في التاريخ الأندلسي، دار غيداء، الأردن، 2012، ط1، ص209.

([5])- ابن سعيد؛ المغرب في حلى المغرب، ص33-36؛ مصطفى الشكعة؛ مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ط6، ص647-650.

- **التاريخ الحولي:** ترتيبه على أساس تاريخ الوفاة سنة بعد سنة في ذكر تراجمه.

- **التراجم والأخبار:** على التصنيف الطبقي في ذكر التراجم: الملوك – الأمراء– العلماء– والأدباء أو الشعرء– وطبقة اللفيف.

- **الجغرافيا:** في جغرافيا غرب الأندلس، وعلى التصنيف الجغرافي–كلما ذكر بلدا ذكرت كورها وأوصافها وجغرافيتها [1].

كتاب " صلة الصلة": لابن الزبير يعتبر الكتاب ضمن كتبر التراجم والأعلام أكمل به صاحبه كتاب ابن بشكوال:" الصلة"، والكتاب غلب عليه النسق الأدبي فكان في أغلبه من الشعر، وقد نحا" ابن الزبير" منحى سابقه ابن الأبار، فرتب أسماء الأعلام المترجم لهم في كتابه" صلة الصلة" على حروف المعجم المغربي بالنسبة للحرف الأول –دون مراعاة– الحروف التي تليه:" وكذلك فعل أبو عبد الله ابن الأبار وأبو جعفر ابن الزبير فيما وقفت عليهما من تاريخيهما" [2]، ويعقبها بذكر الطارئين على الأندلس، ثم الكنى، ويختم الكتاب بذكر باب خاص بالنساء المترجم لهن، معتمدا على تاريخ الوفاة، دون أي اعتبار للنسق التراتبي لحروف الكلمة [3].

([1])– ابن سعيد؛ المصدر السابق، ص9–10، 39، 41، عبد القادر بوباية؛ المرجع السابق، ص162.

([2])– ابن عبد الملك المراكشي؛ الذيل والتكملة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1، ج1، ص205.

([3])– نفسه، ج1، ص204–205، شمس الدين السخاوي؛ المصدر السابق، ص253.

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية

أشتهر " **ابن عطية ت/542هـ**" بكونه فقيها ومؤرخا فكان يعمل على تمحيص الروايات وتحقيق الأخبار. ويتحرى الصحيح منها ويرد الأخبار الموضوعة بإعماله للنقد فيها.

لذا كان دقيقا في عرض مصادره، مسندا الأخبار إلى رواتها، ومرجعا الكتب إلى مؤلفيها، وكان ابن خلدون ممن نَوَّهوا على جهوده في التفسير والتاريخ بقوله:" لما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد عبد الحق ابن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها"[1]، في المقابل نجد ابن تيمية يقارنه بالزمخشري ومجمل قوله:" تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصلح نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع... بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير " [2].

واتبع" **ابن بشكوال (ت/ 578هـ)**" في ترتيب تراجم كتابه على حروف المعجم – وترتيب على تقادم الوفيات منهم– متبعا أصل كتاب سابقه ابن الفرضي في مؤلفه:" ورتبته على حروف المعجم، ككتاب ابن الفرضي، وعلى رسمه وطريقته" [3].

ولما كان المنهج يمثل خصوصية كل مؤلف حاول استظهار بعض الطرافة في أسلوبه كتقديم من اسمه أحمد في حرف الألف، ومن اسمه محمد في حرف الميم ومن اسمه عبد الله في حرف العين، تبركًا باسم الرسول ﷺ [4]،ولعل المنهج الذي سلكه ابن بشكوال ساعده على أن يقف على أخطاء سابقيه، ويعمل على تصحيحها، ونقدها وتقويمها، وقد وقف" ابن الأبّار" على جهوده فقومها وأشاد بها:" أجلها كتاب الصلة، سلم له أكفاؤه فيه، ولم ينازعه

([1])– ابن خلدون؛ المقدمة، ص555.

([2])– ابن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص12.

([3])– خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ المصدر السابق، ص31.

([4])– نفسه، ص31؛ نسمة قلي، " التأليف في الصلات والتكملات بالغرب الإسلامي –مقاربة منهجية–"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2013م، ص22، 31.

أهل صناعته الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه وأنصفوا من الاستفادة منه، وقد حمل عنه أبو العباس ابن عريف الزاهد ممن يعده في شيوخه" [1].

ونهج صاحب" **بغية الملتمس**" نهج شيخه وأستاذه" الحميدي" فكان مؤلفه " ذيل" وصل به كتاب " جذوة المقتبس" للحميدي[2]، مؤرخ القرن الخامس الهجري -كما أشرنا إليه سابقا[3]، مرتبا تراجمه على حروف المعجم، سالكا خصوصيته على سبيل الاختصار:" تاركا التطويل والإكثار " [4]، ولعل جهوده في التأليف -من نقد ومقارنة وتتبع- جعلت أغلب من يترجم له، من المعاصرين له والقادمين من بعده، يصفونه بـ: إمام عهده، معدودا في فقهاء بلده، حجة في الشورى والفتية، مؤرخا لأهل بلده. كان حسن الخط، صحيح النقل والضبط، ثقة صدوقا، وكتب بخطه علما كثيرا [5].

أعتبر مؤلف كتاب" أعلام مالقة" -ابن عسكر- من أكابر القضاة الذين عرفوا في بلدته -مالقة- في عهدها. إذ كان عارفا بالحديث، ومؤرخا، اشتهر بالنبل في أخلاقه وعدله:" كان فقيها مجيدا لعقد الشروط، حافظا للغة أديبا، بليغا، مشاركا في العربية وقرض الشعر" [6]، ومن خلال تتبعا لأخباره فقد كان حريصا على انتقاء أفضلها وكتابة أجودها، فكان مؤرخا دقيقا في أخباره مقيدا لنصوصه فكان اعتماده على مؤرخي عصره ك" ابن بشكوال" والمؤرخين الأجلاء السابقين لعهده ك" الرازي"، والحميدي و" ابن حيان".

([1])- خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ المصدر السابق، ص15.

([2])- Ibn Umaira AL-Dhabbi, Opcit, P VI.

([3])- ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص22

([4])- نفسه، ص22-23، أنور زناتي، المرجع السابق، ص143.

([5])- ابن عميرة الضبي، المصدر السابق، ص17-18، محمد ابن مخلوف، المصدر السابق، ص233، السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ص102.

([6])- ابن عسكر، المصدر نفسه، رقم 50، شمس الدين الذهبي، المستملح من كتاب التكملة، ص141، آنخيل بالنثيا، المراجع السابق، ص305.

ولم يقتصر" **ابن الأبار**" جهده من حيث انتهى سابقه" **ابن بشكوال**"، بل تجاوزه و" **ابن الفرضي**" يتقصى أخبارهم، ويتوخى الحذر، وربما أتى بما أغفلوه [1].

وصفه" شمس الدين الذهبي": بالإمام العلامة البليغ الحافظ المجود المقرئ [2]، وقال فيه ابن عبد الملك:" كان آخر رجال أهل الأندلس براعة واتقانا، محدثا مكثرا ضابطا عدلا ثقة ناقدا يقضا، مستبحرًا في علوم اللسان، أعين عليه بوفور مادته وحسن التهدي إلى سلوك جادته" [3]، وحلاه ابن الزبير بقوله:" محدث بارع حافل متقن وكاتب بليغ، كان متقدما متفننا في الحديث والآداب سنيا" [4]، فكان حافظ الديار الأندلسية وعالمها التراجمي في عصره، توسعا في المعارف [5].

نهج" **ابن سعيد**" في كتابه" **المُغرب**" على أساس التاريخ الحولي، وعلى التصنيف الجغرافي-كلما ذكر بلدا ذكرت كوره وأوصافها وجغرافيتها- وعلى التصنيف الطبقي في ذكر التراجم: الملوك – الأمراء- العلماء- والأدباء أو الشعراء- وطبقة اللفيف [6].

غير أنه لم يقتصر على إعادة ما ورد في كتب ومصادر من سبقه، فذلك مدعاة للملل وتقصيرا للواجب، بل عمل على تقصي الأخبار وتأكيدها، أو ردها ونقدها خاصة فيما يتعلق بأخبار البلدان، فمؤرخنا كان جغرافيا بارعا ورحالة سليلا في العلم زار جميع بلاد الأندلس، ورحل على مناطق المشرق.

وبالتالي كان أكثر اهتماما بالنقد والمقارنة والتتبع، ونرى ذلك من سيماته يقول:" والمملوك -أي ابن سعيد- منذ علق خاطره بهذا الفن -ما تم تأليفه في التاريخ- وتجول في البلاد مجتهدا في طلبه وانتقاده ينخل ما يتحص له منه إلى أن أدى التنخيل لهذا اللباب

([1])- فهو ينبه في كثير من تراجمه إلى الغفلات التي يسقط فيها ابن بشكوال فمثلا قوله:" روى عنه ابن بشكوال وأغفل ذكره في الصلة" عبارة كانت حاضرة بقوة، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص53، 106، 107.

([2])- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص336.

([3])- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص18.

([4])- نفسه، ج1، ص18.

([5])- نفسه، ج1، ص7.

([6])- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص9-10، 39، 41، عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص162.

فقصدت به أهل القصد" [1]، وهذا القول اقتبسناه من كتابه -رايات المبرزين-، وهو وإن كان استنتاجا، إلا أنه يبشر بجهد صاحبه وتواليفه.

نقل -**ابن الزبير**- في كتابه" **صلة الصلة**" عن مصادر كثيرة وجليلة في نفس الوقت،" كالحميدي" في تاريخه، وابن حيان صاحب التاريخ، وابن حزم، ولم يكتفي بهذا بل راح يستند إلى مروياته ومقروءاته، غير أنه -ومن خلال استقرائنا لنصوص المؤلف- نجده يتحاشى النقد للروايات، أو يقارنها بروايات أخرى سواء التي اختلفت معها في المضمون أو تضاربت في الغاية فنجده دائما ينتقي الأخبار الأقرب على الصحة ويدرجها في تاريخه.

غير هذا لم ينتقص من عمله، بل أن أغلب من ترجموا له ونقلوا أخباره سلموا بموسوعيته وجمعه بين العلم والحديث، والفقه والتاريخ، فكان: خاتمة المحدثين، وصدور العلماء والمقرئين، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث، وعمل" تاريخا للأندلسيين ذيل به على الصلة لابن بشكوال" [2].

([1])- ابن سعيد؛ رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1987م، ط1، ص41.

([2])- ابن الزبير؛ المصدر السابق، مج1، ص22؛ ابن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص189-190، 192-193؛ شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ج4، 1484-1485؛ الكتاني؛ المرجع السابق، ج1، ص454؛ الزركلي؛ المرجع السابق، ج1، ص86.

د/ المصداقية والميولات المذهبية والسياسية

شهد" **ابن عطية الأندلسي (ت/542هـ)**" آخر معاقل المرابطين في الأندلس، لذا فقد عاش وكعديد من المؤرخين تحت سلطة المرابطين آخر عهدا وبداية دولة الموحدين، فكان من الذائدين عن حوزة الإسلام في الربوع الأندلسية فجاهد بسيفه تحت راية المرابطين، وبقلمه في ظل منبر الموحدين [1].

ولم يصل إلينا كثيرا عن حياة" ابن بشكوال" كأحد الفاعلين في النشاط السياسي، إلا أنه كان متولي القضاء بإشبيلية [2]، ويذكر دافع تأليفه بقوله:" فإن أصحابنا –وصل الله توفيقهم– ... سألوني أن أصل لهم كتاب القاضي... ابن الفرضي رحمه الله في رجال أهل الأندس" [3].

وحسب مؤلف" بغية الملتمس" –ابن عميرة الضبي–، فإن الكتاب اقتضته ظروف عصره، وحاجة أهل العلم لتأليف مثل هذا:" فإنه لما كان الناظر في الحديث وعلومه مفتقرا إلى معرفة أسماء رجاله ووفياتهم، وبلدانهم، وغير ذلك، وكان المتحدث إذا جهل معرفة المحدثين، وأهل المعرفة وذوي النباهة، من الموضع الذي نشأ به، وعن مسقط رأسه دياره، وبعدت عنه أخباره" [4].

في حين كان ابن الأبّار من محبي السلطة والجاه، وعاش متنقلا بين السلاطين، عابدا للوظائف السلطانية يسعى إليها السعي الحثيث بأي الوسائل، مهما كانت مجافية لطبيعة فضلاء العلماء، فلم يقر له حال منذ أيفع إلى أن مات ولم يسعد من حياته الطويلة إلا بفترات قصار معظمها وهو دون الثلاثين، ثم ما زالت الخطوب تنزل بساحته، ومازال

---

(1)– ابن عطية؛ فهرس ابن عطية، ص12–17، ابن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1–3، ابن فرحون؛ المصدر السابق، ص279–281.

(2)–محمود إسماعيل؛ سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الانهيار 4، دار مصر المحروسة، مصر، 2005م، ط1، ص187.

(3)– خلف ابن عبد الملك ابن بشكوال؛ المصدر السابق، ص31.

(4)– ابن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص22.

يعينها على نفسه حتى تكدرت حياته ما بقي له من أيام العمر بعد ذلك وانتهى به الأمر إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملأ الصفحات بمديحه، فهو القائل:

بشراي باشرت الهدى والنور في قصدي المستنصر المنصورا.

وإذا أمير المؤمنين لقيته لم ألق إلا نصرة وسرورا. [1]

بعد أن اتهمه أعداءه بالخيانة العظمى إلى السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد ثاني أولاد أبي زكريا الملقب بالمستنصر أو المنتصر، فأمر بقتله قصعا بالرماح في الـ20 محرم سنة 658هـ، وأحرقت جثته وكتبه. قال المقري في" نفح الطيب":" وقتل ظلما بالرمح، ثم أحرق شلوه وكتبه، في خبر يطول جلبه" [2].

أما المؤرخ –**ابن سعيد الأندلسي (ت/685هـ)**– صاحب" **المُغرِب**"، فقد كان من بيت ملك ودار قرب للسلاطين الموحدين، فعمل للوزير "**ابن جامع**" الموحدي، وكانت له رحة إلى المشرق، إلى حدود بغداد للحج، فنزل تونس واتصل بخدمة" **أبي عبد الله المستنصر**" بين(652هـ– 666هـ)، إلى أن توفي بها عام 685هـ [3].

أما –**ابن الزبير(ت/708هـ)**– مؤلف كتابه التاريخي" صِلَة الصِّلَة" فكان بدوره منعزلا عن أمور الرياسة، وحوائج السلطان متوجها إلى الحياة العلمية، فكان خاتمة المحدثين في عصره مجودا في القرآن أستاذا في علوم العربية والتاريخ، ورَاويًا للحديث [4]، لعل ذلك راجع إلى مزامنته لأواخر حكم الموحدين وبداية تشكل دويلات بلاد المغرب، المرينية والحفصية والزيانية.

([1])– الغبريني؛ المصدر السابق، ص311.

([2])– ابن الأبار؛ الحلة السيراء، ص7؛ التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص19–24، شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج23، ص339، ابن تغري بردي؛ المصدر السابق، ج7، ص84، ابن قنفذ القسنطيني؛ المصدر السابق، ص324، الزركلي؛ المرجع السابق، ج6، ص233؛ السملالي؛ الإعلام، ص194.

([3])– ابن سعيد؛ المصدر السابق؛ ص6–8؛ عبد القادر بوباية؛ المرجع السابق، ص160، محمد بشير العامري؛ المرجع السابق، ص110.

([4])– ابن الزبير؛ المصدر السابق، مج1، مقدمة التحقيق، ص22؛ لسان الدين ابن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص189–190، 192–193؛ شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ج4، 1484–1485؛ الكتاني؛ المرجع السابق، ج1، ص454؛ الزركلي؛ المرجع السابق، ج1، ص86.

الفصل الثالث

الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة.

–دراسة مقارنة–.

1/ الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة.

أ/ ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة (المسار الشخصي).

ب/ ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة.. الحصيلة والتكوين.

2/ المقارنة.

أ/ مضمون النص.

ب/ مكانتهما في الكتابة التاريخية.

ج/ التوثيق.

د/ البنية.

هـ/ المنهج.

و/ المصداقية والموضوعية في الخطاب التاريخي.

1/ الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة:

إنَّ ما يُمكن تسجيله -للوهلة الأولى- هو الاختلاف الظاهر بين منحى المنجز التاريخي في تراث كل من " **عبد الملك ابن الكردبوس (توفي بعد 595هـ)** " و" **عبد الملك ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ)** "، من حيث: الحضور، والتدوين والتوثيق، المصداقية، والمنهج والأسوب، والمنحى، والخطاب والتوجه.

بيد أن ذلك -في اعتقادنا- لا يَحُول دون تناول المقارنة في موضوع" الكتابة التاريخية" في فكر "**عبد الملك ابن الكردبوس**" و "**عبد الملك ابن صاحب الصلاة**"، من منطلق تساؤلات ما فتئت تفرض نفسها في عصر شَكَّلت فيه" الكتابة التاريخية" منحى السلطان، التاريخ، حاجة الملك، المؤرخ، خطاب، الإيديولوجية، السلطة؛ ونظر الفقيه، ولا غلو في ذلك.

أ/ ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة (المسار الشخصي):

رغم الشهرة التي نالها" **ابن الكردبوس (ت/595هـ)**"، ومع ذلك لم تحمل لنا المصادر الكثير من أخباره -قياسا- بمعاصره" **ابن صاحب الصلاة(ت/594هـ)**"، لذلك كانت معلوماتنا عن شخصيته من القلة بمكان، فلا يذكر لنا المؤرخون تأريخا لميلاده، أو تقديرا لمبلغ سنه يوم وفاته، سوى ما يمكن أن نستنتجه من المعلومات التي أوردها لنا المؤلف بنفسه.

لكن إلام يجب أن نعزو تلك الأسباب؟، هل يمكن أن ندينها لشخصية المؤلف نفسه؟، باعتباره من بلاد المغرب ذو أصول أندلسية، وفوق هذا عاش حياته في المشرق، متغربا عن بلاده، أم نرجعها إلى أسباب أخرى كانت لنمطية تأليفه عاملا ساعد بطريقة ما في تحديد ذلك؟

ابن الكردبوس

(توفي بعد 595 هـ / 1198 م)[1]

استنادًا على ما وقفت عليه من مصادر من كتب التاريخ والتراجم فإن جل المؤلفات كادت أن تجتمع على كنية المؤلف ونسبه بقولهم:" أبو مروان بن الكردبوس" [2]، في حين

([1])- اكتفى المؤرخون والباحثون بتقديم تنبأت عن تاريخ وفاة ابن الكردبوس، فذكر أحدهم بأنه كان من رجال القرنين ال6هـ وال7هـ، في حين أشار باحث آخر أنه كان حيا سنة 575هـ، أما بقية الدارسين فكادوا يتفقون على أنه ألف نهايات القرن ال6هـ، وكان اعتمادنا على تاريخ 595هـ تقيدا بالأحداث الواردة في الكتاب، دون غيرها من التنبآت.

(ابن الكردبوس؛ الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2008م، ط1، ج1، مقدمة التحقيق، ص17؛ المصدر نفسه، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م، ط1، ج1، ص8)؛ (كارل بروكلمان؛ تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ط5، ج6، ص134)؛ (الزركلي؛ الأعلام، ج4، ص161)؛ (محمد محفوظ؛ تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ط1، ج4، ص158).

([2])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ج1، ص29؛ المصدر نفسه، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص125؛ ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج2، ص162، 271؛ ابن عبد الملك المراكشي؛ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: السفر الخامس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1، مج3، ص61؛ عبد الرحمان الثعالبي؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ط1، ج1، ص533.

كان الاختلاف واضحا في اسمه ولقبه -فبعظهم يقدم الاسم على الكنية وبعضهم الآخر اكتفى بإيراد اسم شهرته دون اسمه ولا كنيته-، لذلك كان لزاما علينا أن نقف على خط المؤلف، مؤرخنا، وبما أن ذلك كان متعذرا فإننا لجأنا إلى الكتاب المحقق -كما جرت العادة في المؤلفات الأخرى-.

جاء رسم اسمه في مقدمة كتابه قوله [1]:" قال الفقيه العلامة المؤرخ أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، غفر الله له ورضي عنه"، والتوزري نسبة إلى بلاد توزر؛ قاعدة بلاد الجريد [2]، أما لفظ الكردبوس فهو الاسم الذي عرف واشتهر به، أرجعها أحد الباحثين إلى الصياغة اللاتينية أو الاسبانية (El CORDOBES) بمعنى القرطبي، مما يدل على أنه أندلسي الأصل، معززا رأيه بقول أبي محمد التجاني (ت/ 721هـ) في رحلته -وقد مَرَّ بتوزر-:" وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بإفريقية قبل الفتح الإسلامي، وكذلك أكثر بلاد الجريد؛ لأنهم حين دخول المسلمين أسلموا على أموالهم" [3].

ولما كان هذا الرأي من الباحث لا تدعمه سوى تعليق وصف طرحه التجاني في رحلته، فإن أمر التسليم به يبقى غير مكتمل.

ابن صاحب الصلاة

(توفي بعد 594 هـ / 1198 م)

أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي، الشهير بـ:" ابن صاحب الصلاة" [4].

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ج1، ص29.

([2])- نفسه، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص21.

([3])- نفسه، ج1، ص20.

([4])- عبد الملك ابن صاحب الصلاة؛ المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط3، ص8، 59؛ ابن عبد الملك المراكشي؛ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: -السفر لخامس-، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1، مج3، رقم70، ص25؛ السملالي؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ط2، ج8، ص361؛ مصطفى الشكعة؛ مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ط6، ص702؛ الزركلي، الأعلام،=

عاش في النصف الأول من القرن ال6هـ [1] في العدوة الأندلسية، وأمضى بقية حياته في النصف الثاني من نفس القرن في طاعة الموحدين وخدمتهم متنقلا بتنقل مركب الخليفة بين العدوة -الأندلس- والحاضرة العلية -مراكش-، فكان المؤرخ والكاتب والشاعر في بلاط خليفة الموحدين [2].

وابن "صاحب الصلاة" لقب أشتهر به ويعني -بداهة- الذي يئم بالناس في صلواتهم، والراجح -ومن خلال معطيات الروايات المُوفّرة لدينا-؛ أنه ولد في باجة [3] واستوطن بإشبيلية [4]، فابن الأبّار نعّته بقوله:" عبد الملك بن إبراهيم الباجِيُّ" [5]، وصاحب الذيل والتكملة ترجم له بقوله:" عبد الملك بن صاحب الصلاة والباجي" [6].

=دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ط5، ج4، ص164؛ آنخيل بالنثيا؛ تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص241.

- David Thomas, Christian- Muslim Relations A Biographical History: Volum 4 (1200-1350), BRILL, LEIDEN, The Netherlands, 2012, P 176.

- Salma Kadra Jayyusi, The Legacy of Muslim Spain, E.J. BRILL, LEIDEN, 1994, second Edition, P 86.

- Gholamali Haddad Adel, et. Al, HISTORY AND HISTORIOGRAPHY: An Entry from Encyclopaedia of World of Islam, British Library, Landon, 2012, first Publisher, P 173.

([1])- انفرد الباحث David Thomas أن ابن صاحب الصلاة ولد بين (1126-1136)، في حين رجح محقق الكتاب عبد الهادي التازي، والزركلي أنه ولد سنة 537هـ، أما عن تاريخ وفاته فقد أجمعت الدراسات على وفاته بعد عام 594هـ، بانفراد مصطفى الشكعة وآنخيل بلنثيا انه توفي بعد سنة 577هـ.

(ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص10؛ الزركلي؛ المرجع السابق، ج4، ص164؛ مصطفى الشكعة؛ المرجع السابق، ص702؛ آنخيل بالنثيا؛ المرجع السابق، ص241.)

- David Thomas, Opcit, P 176.

([2])- David Thomas, Ibid, P 176.

([3])- وسمي بالباجي (al-Baji)، نسبة إلى باجة (Beja) القريبة من الجرف (The Algarve) في بلاد الأندلس البرتغال حاليا.

- David Thomas, Opcit, P 176.

([4])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص9؛ أنور محمود زناتي؛ دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، زهران للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011م، ط1، ص142.

([5])- التكملة لكتاب الصلة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ط1، ج3، ص223.

([6])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق: -السفر الخامس-،مج3، رقم70، ص25.

ب/ ابن الكردبوس، ابن صاحب الصلاة.. الحصيلة والتكوين:

- عصر وبيئة ابن الكردبوس:

بالنظر إلى معطيات الروايات المتوفرة لدينا- أنه عاش في النصف الثاني من القرن ال6هـ/ 12م، فتوزر في القرن السادس لم تكن بها مراكز علمية تشع على أهل المنطقة وتوطن فيهم فكرا دينيا عميقا، لذا أدرك وجهته إلى إفريقية نبغ بها نحو تونس فتلقى تعليمه الأول بها وأخذ عن شيوخها، ثم كانت وجهته الثانية نحو الإسكندرية ببلاد مصر باسم طلب العلم، فكان ذلك:" على ظهر السفينة... في وجهتهما من إفريقية إلى الإسكندرية في محرم ثلاث وسبعين وخمسمائة" [1]، من أجل طلب الحديث فلقي الأئمة، وروى عنهم كثيرا من أعالي أسانيدهم وغير ذلك. ومن أبرز الشيوخ والعلماء الذين نال شرف لقائهم والرواية عنهم كالحافظ السلفي (ت/576هـ)، الإمام العلامة المحدث الحافظ المفتي، شيخ الإسلام وحجة الرواة، ومحمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم، التميم (ت/604هـ) من أهل فاس سمع منه ابن الكردبوس كتاب" الموطأ" للإمام" مالك بن أنس" [2].

هذا عن بيئته العلمية أما عن عصره السياسي فبلاد الجريد -والتي عاش فيها ابن الكردبوس- لم تكن بمعزل عن الأحداث السياسية المتلاحقة التي شهدتها إفريقية، أين شهد سقوط الدولة الصنهاجية (362هـ-543هـ)، وقيام الدولة الموحدية الفتية (514هـ-669هـ)، واستيلاء" النورمان" و" الفرنجة" على الثغور الساحلية لمعظم بلاد المغرب، وفرض سيطرتهم على صفاقص 538هـ، وعلى طرابلس سنة 541هـ، وفي سنة 543هـ أكملوا سيطرتهم على مدينة المهدية [3]، هذا الوضع لا يمكن أن نقف على صورته إلا ما أجاب به الشاعر الحصري القيرواني ابن عباد أمير أشبيلية:

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسى وأعجب لأسود عين كيف لم يشب

([1])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، مج3، ص61.

([2])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص39، 46، 59-61؛ محمد محفوظ؛ المرجع السابق، ج4، ص158.

([3])-ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص29-37.

البحر للروم لا يجري السفين به إلا على غرر والبر للعرب

قبل أن يتمكن عبد المؤمن بن علي من تحريرها عام 555هـ.

أما الإسكندرية وهي الوجهة الثانية لابن الكردبوس، فكانت على مذاهب ومدارس مختلفة بين المذاهب الشيعية والسنية، كانت قد أثرت على المؤرخ ابن الكردبوس بشكل واضح [1].

- ابن صاحب الصلاة: أخلاقيات المؤرخ والتزامات الكاتب:

عاش ابن صاحب الصلاة متنقلا بين الأندلس والمغرب يؤرخ لبطولات الموحدين وعاصر فترة ثلاثة خلفاء من الأمراء الموحدين؛ عبد المؤمن بن علي (524هـ_558هـ)، وكخادم لأبي يعقوب يوسف بن علي (558هـ-580هـ)، وأبي يوسف يعقوب المنصور (580هـ-595هـ)، ولعله -أي ابن صاحب الصلاة- كان يحمل ثقافة وأخلاق الطبقة الأرستقراطية تعكس لنا أخلاقه النبيلة ولباقته في الحديث، استخلصنا ذلك من تهنئته لقائد الجيش " أبي حفص" بفتحه قرمونة 557هـ، فكان أولى المهنئين له بالفتح:" ولقد مشيت إليه فيها وهنيته على الفتح وهو جالس مستند إلى الحائط الشرقي من الجامع" [2] إما باعتباره طرفا استفاد من هذا الفتح، أو كفارس يؤخذ الاعتبار لمكانته، عبر عن امتنانه لقائد الجيوش على إنجازه السعيد.

بكونه يتمتع بمكانة محترمة عند الخلفاء الموحدين، فهو كان يتقلد منصب" ظهير الولاية" وهو في اعتقادنا منصب جليل الأهمية يصعب أن يناله شخص من عامة الناس، واكتسب مكانة مرموقة لا تقل عن مكانة الطبيب" ابن زهر"، والفيلسوف" أبي الوليد بن رشد"، فقد زار بمعيتهما ورفقة الخليفة أبي يعقوب زاروا قبر المهدي وقبر عبد المؤمن بتنمليل [3].

([1])-ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص47-56.

([2])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص122-123.

([3])- نفسه، ص17.

2/ المقارنة:

أ/ مضمون النص:

- ابن الكردبوس بين كتب الحديث والتأريخ:

لم يثبت لعبد الملك بن الكردبوس سوى مؤلفين اثنين أولهما في الحديث، والثاني، في التاريخ -وهو موضوع دراستنا-.

- الأربعون حديثا:

وهو كتاب نسب إليه أو ألّفه، ولا يعرف محتواه ولا تاريخ تأليفه، غير أن ابن الأبّار انفرد بذكره ونسبه إلى ابن الكردبوس [1] أين كان في الإسكندرية حين عرف بمن أخذ عن عبد الله بن محمد بن سعادة الأصبحي، فقال:" وسمع منه أيضا أبو أحمد جعفر بن ميمون الشاطبي وأبو مروان عبد الملك بن محمد بن الكردبوس التوزري وحدث عنه في الأربعين حديثا من جمعه وقال كان يطلب الحديث معنا وحدث عنه أيضا أبو القاسم عيسى بن الوجيه عبد العزيز وحمله الرواية عن قوم لم يرهم ولا أدركهم وبعضهم لا يعرف وذلك من أوهام هذا الشيخ عيسى واضطرابه وكان ابن سعادة مقرئا محدثا ورعا فاضلا" [2].

- الاكتفاء في أخبار الخلفاء:

أجمعت المصادر التي تعرضت لذكره على تسمية واحدة:" كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء".

فذكر ابن الشباط في سياق حديثه عن " لذريق وقصة البيت ذي الأقفال العشرين" جاء قوله:" محمد بن الكردبوس التوزري رحمه الله في كتاب الاكتفاء" [3]، أما ابن حمادوش الجزائري يذكر في قراءته للكتاب ما قوله:" فابتدأت -كذا- سرد الكردبوس تأريخ في خلافة

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص62-63؛ محمد محفوظ؛ المصدر السابق، ج4، ص159.

([2])- ابن الأبار؛ التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج2، ص271.

([3])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ج1، ص6.

العباسة..." [1]، -ولو أننا أكملنا ما أفادنا به لوقفنا على كثير من محتوياته-، ومن المتأخرين حاجي خليفة أتى بقوله:" تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس" [2].

وهو ما يوافق قول مؤلفه في مقدمة كتابه:" وسميته بـ الاكتفاء في أخبار الخلفاء" [3].

- مضمون النص في كتاب" الاكتفاء" لابن الكردبوس:

يمكن تصنيف كتاب "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" ضمن كتب التاريخ الإسلامي يؤرخ فيه صاحبه لسيرة النبي المصطفى، والخلفاء من بعده، والتدوين لعهود الخلفاء، والتأريخ للحكام والملوك من بعدهم، من العهد الأموي إلى عهد الخليفة الموحدين مشرقا ومغربا، العدوة الأندلسية والحاضرة العلية، مدينة السلام -بغداد-، وشام المدينة دمشق.

عالج -ابن الكردبوس- التأريخ الإسلامي منذ فجر النبوة وحتى قبيل وفاته، وقد رتب مادة كتابه في مقدمته، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له، قال:" فإن هذا الكتاب أثبت فيه ذكر النبي ﷺ الهاشمي... وأتلوه بذكر صحابته الكرام الخلفاء الأربعة الكرام الأعلام، وأتبعهم بذكر من ولي أمر الأمة الإسلامية من الخلفاء الأمويين والعباسيين جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، إلى حيث ينتهي بنا هذا التأليف، وأصل بذكر بني أمية بعض أخبار الأندلس وولاتها وبسبب من دخلها وتملك بجهاتها، ومن ولي المغرب وأحيا السنة فيه بعد إماتتها" [4].

أتى في بعض النسخ المخطوطة للكتاب ما يفيد أن ابن الكردبوس قد قسم كتابه إلى سفرين إثنين:

- السيرة النبوية

ذكر فيه نسب المصطفى النبي ﷺ، وأمه آمنة ومولده وحوادث كثيرة كقصة " شق

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص69-70.

([2])- حاجي خليفة؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تص: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، ج1، 293.

([3])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص126، نفسه، تح: عبد القادر بوباية، ج1، ص30.

([4])- نفسه، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص126.

البطن"، ومبعثه وأول من آمن به، ثم يتعرض المؤلف إلى صفته "وبيعة الحديبية" والهجرة إلى المدينة المنورة، والغزوات والسرايا في عهده، وذكر مجمل كتابه وحجابه، وأزواجه وأولاده ومعجزاته وتاريخ وفاته ومبلغ سنه [1].

أدرج فيه المؤلف أخباره على المنهج الموضوعي للأحداث المهمة والرئيسية، وسار على المنهج الحولي للسنين والتواريخ، دون أن يراعي الترتيب في ذلك، فمثلا نجده يقدم " بيعة الرضوان" على الهجرة، أما مصادره فكانت كتب السيرة، والروايات والإسناد.

غير أن النص لم يخلُ من بعض الأخبار المكذوبة والضعيفة ذات الصبغة الأسطورية.

- عصر الخلافة الراشدة

أتى بذكر كل متعلقات الخليفة: كنيته ونسبه من أمه وإسلامه ومنزلته في قريش، ومن أسلم من الصحابة بدعوته، وبيعته، وصفته وفضائله، والأحداث الواقعة في عهده، مثل حركة الردة والفتوح -عهد أبو بكر- وغيرها من الأخبار كالفتنة ومعركة صفين وعام الجماعة، وهو يجعل هذا النص نمطيا على جل الخلفاء من بعهده [2].

- عصر خلفاء بني أمية

يسحب بساط النص النمطي مرة أخرى في متعلقات الخلفاء الأمويين، ويأتي بأهم الأحداث في عصرهم وأعمالهم وسياستهم، وأخبار الفتوح؛ كفتح إفريقية وبناء القيروان، فأتى لنا بالأخبار الطريفة، ثم في الأخير نشاهد عملا احصائيا لكل خليفة كعدد أولاده ومبلغ سنه وفترة حكمه. غير أن أغلب هذه الإحصاءات كان يغلب عليها المبالغة [3]، " فضلّ عن الحق وتاه في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر "[4]

بعدها يأتي بأخبار المغرب والأندلس لارتباط أمور الفتح بالخلافة الأموية:" وأصل بذكر بني أمية بعض أخبار الأندلس وولاتها بسبب من دخلها منهم، وتملك بجهاتها" [5].

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص128-220.

([2])- نفسه ، ج1، ص221-595.

([3])- نفسه، ج1، ص596-ج2، ص1202.

([4])- ابن خلدون؛ المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص13.

([5])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص126.

- الفتح الإسلامي لا يعدو عن كونه عملية جراحية ناجحة

أجمع كثير من الباحثين على طرافة الأحداث التي أوردها ابن الكردبوس في كتابه - لا نجدها في المصادر التاريخية الأخرى-، تنم عن دقة وعمق نظرته للأحداث فذكر أن الفتح لم يكن هو من أسلم جميع البربر مغردا خارج سرب كتب الفتوح في كتابه، ولا هو تعصبًا لرجالات الفتح بقوله:" فساحل البحر كله للروم والبرية للبربر منهم من بلغته الدعوة فأسلم، ومنهم من لم تبلغه الدعوة فبقى جاهلا" [1].

- **عصر الولاة:** سار على نمط الخلفاء بذكر كنيته -الوالي- وبيعته وصفته وعماله وأعماله، وفي الأخير خلاصة إحصائية عن مدة حكمه ومبلغ سنه وعدد أولاده، مختصرا في ذلك [2].

- **الدولة الأموية بالأندلس:** الطريقة نفسها يأتي بذكر أخبار الأمويين بالأندلس بداية من عبد الرحمان الداخل وأعمالهم، ونوادر أخبارهم، وأخبار الوزراء والحجاب، سالكا الاختصار [3].

- **ملوك الطوائف:** يبدأ بذكر الثورات على الأمويين، وبداية قيام الممالك المستقلة - ملوك الطوائف- وأورد لنا أخبار عن ملوك الروم الفرنجة وأحوالهم وصراعاتهم، وحروبهم مع المسلمين [4].

- **دولة المرابطين:** بدأ بأخبار يوسف بن تاشفين الذي استجاب لنداء اخوانه المسلمين بالأندلس وابن عباد، ويورد في خضم ذلك مراسلات ألفونسو السادس وابن تاشفين ووقعة الزلاقة عام 481هـ [5].

- **دولة الموحدين:** استَهلَّ أخبارهم بانحراف حال الملثمين -مقدمة لذلك-، وانحيازهم

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص996-1018.

([2])- نفسه، ج2، ص1001-1019، 1141، 1202-1203.

([3])- نفسه، ج2، ص1203-1216.

([4])- نفسه، ج2، ص1216-1252.

([5])- نفسه، ج2، ص1252-1314.

على الدين، ثم أتى بذكر الإمام المهدي، أخباره وأعماله، وذكر عبد المؤمن من بعده وصراعه مع المرابطين، ومن خلفه من بنيه من بعده أبو يوسف وذكر أعمالهم وفتوحاتهم، وإقامتهم للحق [1].

متبعا في ذلك المنهج الموضوعي في تعاهد الخلفاء والملوك، وعلى المنهج الحولي، في ذكر السنون والتواريخ والأحداث.

ختم أخبار السفر الأول بقوله:" تم السفر الأول من كتاب: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، بعون الله تعالى وقوته، ويتلوه السفر الثاني إن شاء الله أخبار بني العباس وسبب ظهورهم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله، وصحبه أجمعين" [2]

- عصر خلفاء بني العباس

ابتدأ بأخبار أبي العباس السفاح، وأتى بذكر نسبه وتاريخ بيعته، ونسبه من أمه، وصفاته ووزرائه، ومن استكتبه، واستقضى في عهده، وحاجبه، وقواده، وعماله، ونقش خاتمه، ونوادر أخباره، والأحداث في عهده، وأعماله [3].

سار المؤلف بهذا البناء في سرد أخباره إلى آخر خليفة عباسي.

- مضمون النص عند ابن صاحب الصلاة:

أبرز ما وصلنا بخصوص مؤلفات ابن صاحب الصلاة أنه صنف كتابين من جنس كتب التاريخ، أرخ فيهما للأحداث الواقعة بالمغرب والأندلس.

فابن الأبّار في كتابه" التكملة" ذكره بقوله:" عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي يعرف بـ: ابن صاحب الصلاة وهو صاحب" التاريخ" [4]، وقال عنه ابن عبد الملك في" الذيل والتكملة:" وصنف" تاريخ ثورة المريدين بالأندلس"، و" دولة عبد المؤمن

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص1314-1322.

([2])- نفسه، ج2، ص1322.

([3])- نفسه، ج2، ص1323- ج3، ص1672.

([4])- التكملة لكتاب الصلة، تح: بشار عواد معروف، ج3، ص223.

ومن أدرك بحياته من بنيه" [1]، كما أشار بذكره كل من ابن الخطيب ق8هـ في" الإحاطة"،[2] والمقري ق11هـ في" نفح الطيب"[3] ومن المتأخرين السملالي[4] ق14هـ في كتابه" الإعلام".

- كتاب" ثورة المريدين في الأندلس":

أو **ثورة المريدين** يعتبر من الكتب الضائعة [5] وهو الكتاب الأول لابن صاحب الصلاة ألفه قبل" المن بالإمامة" فقد أحال عليه في كثير من المرات بقوله:" وقد شرحت حالها ومن نافق داخلها في تاريخ المريدين" [6]، أو عبارة:" حسب ما ذكرته في تاريخ المريدين" [7]، مما يجعلنا نقف على بعض محتوياته.

غير أن الأحداث التي وقفنا عليها استطعنا حصرها بين سنو (540هـ-566هـ).

- **ثورة المريدين** شهدت بلاد الأندلس أعقاب دولة المرابطين نشوب العديد من الثورات، في غربها وشرقيها أدى ذلك إلى اختلال الوضع و" كثر التعدي في الطرقات، والدوابر في السبل، والفتك بالرفاق"، قال عنها المؤرخون أنها:" فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس" [8].

ثورات تزعمها الفقهاء وأخرى قادها المتصوفة أو المريدين؛ هذه الأخيرة التي تزعمها أبي القاسم بن قسي (ت/546هـ-1151م) [9]، ولعل أبرز الخارجين عن سلطة الموحدين وذكرهم صاحب" ثورة المريدين":

([1])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق: -السفر لخامس-،مج3، رقم70، ص25.

([2])- ابن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ط1، مج3، ص213.

([3])- المقري؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م ، مج2، ص335.

([4])- السملالي؛ المرجع السابق، ج8، ص361.

([5])- David Thomas, Opcit, P 176.

([6])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص67-68، 284.

([7])- نفسه، ص122، 303.

([8])- لخضر بولطيف؛ فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015م، ص186.

([9])- نفسه، ص186.

عبد الله بن شراحيل -الكافر-[1] الذي غدر بمدينة قرمونة، و-الغادر- الثائر عبد الله بن عبيد الله[2]، و -الشقي- ابن ابي جعفر [3]، ولعله لا يخرج من عصابة المتحالفين مع ابن المردنيش، وابن همشك[4]وصهره ابن مردنيش.

ابن مردنيش (ت/567هـ-1172م) (Muhammad ibn Mardanis) or (Martinez) تسميه المدونات الأجنبية بـ:" الملك لوبو" أو (El Rye Lobo) محمد ابن سعد ملك مرسية من(542هـ-567هـ) اشتهر بحنكته وشجاعته آل إليه شرق الأندلس، كان جريئا في أفعاله.

حسب الرواية التي يقدمها لنا ابن صاحب الصلاة في" تاريخ المريدين"، تعكس لنا الحالة الهستيرية التي أصابته في آخر أيام حكمه لسوء طالعه -تطلعا للنتائج المخيبة التي نالته-، ذلك جعله أن يُطَلِّق ابنة إبراهيم بن همشك ويفني بوزيريه ابني الجذع:" وبناهما في الحائط بمرأى منه" [5]، جعل ذلك أقرب الناس إليه صهره وحليفه ابن همشك أن:" ازداد رَوْعا منه وفَزَعا" [6]، أن يتخلى عنه ويدخل في طاعة الموحدين [7].

- " تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين "

- السفر الأول

يبدو أن ابن صاحب الصلاة قد أتى في كتابه" المن بالإمامة" بذكر تاريخ دولة المهدي

---

(1)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص120.

(2)- نفسه، ص283.

(3)- نفسه، ص122.

(4)- **ابن همشك**؛ إبراهيم بن محمد بن مفرّج رومي الأصل حليف ابن مردنيش وصاهره، كان ملك على مدينة" جيان" Jaen " عهد الفتنة"، فكان شديد البطش عاتيا قاسيا، اشتهر بجرأته، أرخ له ابن صاحب الصلاة.

(ابن الخطيب؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص296-303)؛ (شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ط1، ج20، ص241).

(5)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص65، 302-303. الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج20، ص240-242.

(6)- نفسه، ص302.

(7)- لخضر بولطيف؛ المرجع السابق، ص225.

-الإمام المهدي ابن تومرت- والدولة الموحدين شاملة من بداية الدعوة إلى آخر عصره. ذلك أكدته الإفادات التي نقلها عنه المؤرخين القادمين من بعده.

كما ينقل لنا صاحب مؤلف" الحلل الموشية"، أحد الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة في تاريخه [1]، لم نجد له أثر في السفر الثاني.

- **أخبار المهدي ابن تومرت** نقل إلينا كل من ابن أبي زرع الفاسي (ت/726هـ) وصاحب الحلل الموشية إفاداتهم عن ابن صاحب الصلاة أخبار عن المهدي يمكن حوصلتها في ثلاث حالات:

- **نسب ابن تومرت** قال صاحب الحلل الموشية:" واختصره أبو مروان بن صاحب الصلاة".

- **رحلته إلى المشرق ولقياه بالإمام الغزالي** هذا الخبر نقله إلينا صاحب الحلل الموشية، كما أنه يقف على أحد الرواة الذين اعتمد عليهم ابن صاحب الصلاة في كتابه ولا نجد له سبيلا في السفر الثاني:" حكى ابن صاحب الصلاة عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان العراقي، شيخ مسن من سكان فاس" [2].

- **بيعته ووفاته** انفرد صاحب" روض القرطاس" بإيرادها إلينا -على الأقل ما وقفنا عليه من المصادر- بقوله:" والصحيح في بيعته ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة في كتابه" المن بالإمامة" [3].

- **الخليفة عبد المؤمن ابن علي** أبرز ما وقفنا عليه من مصادر فإنها أتت بذكر:

- **تواضعه -رضي الله عنه-** قال ابن القطان[4]:" قال ابن صاحب الصلاة: إنه ما لبس قط إلا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعا لله تعالى وزهدا".

([1])- مؤلف مجهول؛ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ط1، ص104.

([2])- نفسه، ص103-104.

([3])- ابن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص181.

([4])- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط2، ص172.

- البيعة للخليفة عبد المؤمن

يذكر ابن ابي زرع الفاسي -نقلا عن ابن صاحب الصلاة في السفر الأول- في خضم حديثه عن حالة القبائل بعد وفاة المهدي، الاستراتيجية الذكية التي ظهر بها عبد المؤمن كمحنك سياسي له بعد نظر لاعتلاء السلطة. فهو لم يعلن أمر وفاة المهدي، وأخفى جثمانه إلى أن رأى مناسبة إعلان الخبر بعد أكثر من سنتين. ويؤكد أن بيعة عبد المؤمن كانت على مرحلتين:

- **البيعة الخاصة** بادره بها أهل الIo، أتباعه وأصحاب المهدي شهر رمضان 524هـ.

- **البيعة العامة** وكانت يوم الجمعة 20 ربيع الأول 526هـ/ I130م بجامع" تينمل" بعد وفاة المهدي بسنتين وتم الأمر:" وخطب له على المنابر" [1].

- غزواته وفتوحاته

وكانت أولى غزواته غزوة تادلا 524هـ [2] وصراعه مع المرابطين [3] وفتح مراكش [4] ولعل آخرها فتح غرناطة وقتل الأقرع النصراني [5].

- السفر الثالث:

معظم النصوص الواردة والمذكورة في وصفنا لهذا السفر لا تعدو عن كونها نصوصا تخيلية استشرفنا على ذكرها، فرضها منطق سير التاريخ، ومنطق الأحداث وحاجات السلطان من الكتابة التاريخية.

ونحن نعتقد إمكانية نهج المؤلف في سفره هذا على المنهج الذي شهدناه في سفره الثاني، ذاكرا لأحداثه سنة بعد سنة موازيا بالمنهج الموضوعي للأخبار.

- ذكر أخبار (569هـ-I173م)

([1])- ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص184-I87.

([2])- ابن القطان المراكشي؛ المصدر السابق، 247-249.

([3])- مؤلف مجهول؛ الحلل الموشية، صII6.

([4])- نفسه، صI43.

([5])- ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، صI96.

- خبر وصول العلج الطاغي

يبدأ سير أحداثه منذ سنة 569هـ بولوج أخبار وصول العلج الطاغي وصراعه مع الموحدين، يقول المؤلف:" كمل السفر الثاني من كتاب" المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أيمة وجعلهم الوارثين"، وصلى الله على محمد وآله، ويتلوه في الثالث بحول الله: سنة 569هـ خبر وصول العلج الطاغي" [1].

- ذكر أخبار (577هـ-1181م)

لما كان للأحداث الجليلة ذكر مثل تدشين المسجد الجامع -الجامع الكبير- الجديد بالقصبة بإشبيلية، وانتقال الخطبة إليه وهي أول خطبة وزيارة -السيد الأجل الأعلى- الخليفة من حضرة مراكش إلى إشبيلية يوم السبت ال18 من ذي الحجة الموافق ل24 من شهر أبريل العجمي 577هـ.

قلنا لما كان هذا الخبر ما هو إلا نص تخيلي نعتقد بذكره في السفر الثالث، ماذا يمكن أن يحمل لنا خبر مثل هذا، ولعل ذكره يكون ضمن أحداث عام 577هـ -إن لم يكن عمدتها في صدارة الاخبار الجليلة- لأن الأحداث لا تخرج عن هذا التاريخ.

ويتخيل لنا أنه في موسطة الخبر أو آخره يذكر قوله:" كما ذكرنا ذلك في السفر الثاني، وأعدناه في السفر الثالث"، غير أن ما يخيل إلينا أكثر هو أن ينتزعها انتزاعا، لسبب رآه تشويه بصورة الوصف الجليل والأمر السعيد -فهو لم يذكره قبلها سوى مختصرا-، لا ينم عن تصورات الكاتب ولا عن تطلعات الأمير في بلاطه وحضور جامع إشبيلية في نص ابن صاحب الصلاة سيكون دائم الولوج إلى آخر عام 594هـ [2] على عهد أمير المؤمنين أبي يوسف -رضي الله عنه-.

ارتئينا سبقا -في السفر الثاني- الجهود التي بذلها الخلفاء لإكمال مشروع بناء المسجد الجامع، خليفة بعد آخر، ولما كان مثل هذا العمل السديد والأمر السعيد، من المشاريع التي يعول عليها بني عبد المؤمن وخلفاء المهدي من بعده بالمجابهة بها ملوك الشرق، فالملوك

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص437.

([2])- نفسه، ص396-397.

تبني على قدرها من الأقدار:" وبما لو عاينها المتقدمون من آل عاد بن شداد لأقروا لهم بالعجز وفضلوهم على الذين بنوا القصر من سنداد" [1].

ذلك يلزم معارف ومهندسين ثقة يعول عليهم وتمنح لهم ثقة الخليفة، شاهدنا ذلك على العامل أبا داوود يلول بن جلداسن، الذي استخلفه الخليفة -في أمور مشاريع البناء- مدة غيابه، بسبب الغزو [2]، ذلك أننا سنشهد في السفر الثالث لحقت وفاته لأجل مسمى، ولعل ذكره وسرد أعماله سيكون في صفحات محترمة بكتاب المؤلف، خاصة إذا تصور لنا أنه كان من المقربين للخليفة.

- ذكر أخبار (580هـ-1185م)

- وصف صومعة الجامع الأسطورية تشق عنان السماء وتاريخ علم الحيل

أمر ببنائها أمير المؤمنين أبو يعقوب بن أمير المؤمنين رضي الله عنه، برزت كصومعة من العظمة بمكان، لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الأندلس: سمو شخص ورسو أصل، ووثاقة عمل، وبدائع ظاهر:" قد ارتفعت في الجو، وعلت في السماء تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء" [3].

في السفر الثاني وصف مقتضب عن العمال [4] ومواد البناء[5] كالآجر وآلات البناء[6]، وعلم الحيل أو الميكانيكا، فهل سنشهد نص تاريخي آخر في علوم الحيل والميكانيكا أكثر حمولة في السفر الثالث.

- ذكر خبر وفاة الخليفة أبي يعقوب بن أمير المؤمنين -رضي الله عنه- في غزوته على شنترين في ال13 من شهر صفر عام 580هـ [7].

([1])-ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق ، ص86-87.

([2])- نفسه، ص390-391.

([3])- نفسه، ص390.

([4])- نفسه، 140، 86، 140، 372-376، 382.

([5])- يورد أنواع بأسماء مادة البناء مثل الحجر المنجور والجيار. ابن صاحب الصلاة؛ نفسه، ص86، 166.

([6])- نفسه، ص390-397.

([7])- قال المؤلف:" ثم توفي إثر ذلك الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين في الغزوة المذكورة على حسب ما أشرحه". نفسه، ص391.

- ووقعة الأرك (Battle of Alarcos) من أحداث في ال9 من شعبان 591هـ [1] الموافق لشهر يوليوس العجمي عام 1195م.

هل سيسحب المؤلف بساط النص النمطي في ذكر فضائل الخليفة ؟ أم أنه سيمر مباشرة إلى الثناء على خليفته أبي يوسف يعقوب المنصور؟

سيكون هناك نص تشاؤمي، وما هو أكيد وضعه هو نص تاريخي في السباب، وأن يمطر بوابل من أقذع الألفاظ وشناعة الوصف على خصومه المسيحيين، سيرا على ما نهجه في السفر الثاني، فلفظ الطاغية [2] ملتصق بخصوم الموحدين عند كل ذكر، والنصر الإلهي كان واجب حضوره في كل معركة خلصت بالضفر.

ب/ مكانتهما في الكتابة التاريخية:

- الاكتفاء في أخبار الخلفاء أحد مصادر التاريخ المتداولة من بعده:

لعل أبرز ما نستنتجه من الروايات التي تمدنا بها المصادر المتأخرة هي إمكانية تداول كتاب " الاكتفاء"، وهو ما نستشفه من قراءة ابن حمادوش الجزائري مع ابن ميمون للكتاب في داره، بقوله:" فابتدأت سرد الكردبوس تأريخ في خلافة العبابسة... قرأنا ولاية جعفر المقتدر بالله... من النبي والصحابة وملوك بني أمية..." [3].

- عبد الرحمان الثعالبي (786هـ-875هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن: [4] رغم أن الكتاب في صنف كتب التفسير إلا أن صاحبه، رأى وجوب الاعتماد عليه، فأخذ عنه بعض الأخبار المتعلقة بالخليفة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه [5].

- ابن أبي دينار (ت/1109هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أتى بذكره والإفادة من كتابه في أخبار الفتوح عهد موسى ابن نصير وحملة طارق ابن زياد، وأخبار الولاة [6].

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق ، ص392.

([2])- لم تقتصر الوصف على رسم واحد بل تعددت وكثر استعمالها. نفسه، ص392، 72، 205، 205.

([3])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص69-70.

([4])- عبد الرحمان الثعالبي؛ المصدر السابق، ج1، ص9.

([5])- نفسه، ج1، ص533.

([6])- ابن أبي دينار؛ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ط1، ص34، 39.

- " ثورة المريدين" و" تاريخ المن بالإمامة" مصدرًا في تاريخ الغرب الإسلامي عصر الموحدين:

اعتبر الكتاب مصدرا معتمدا لجل المؤرخين القادمين من بعده، كونه يؤرخ لأحداث عاصرها وعايش أبرز مظاهرها [1]، فهو مثلا يؤكد حضوره يوم النصر والضفر بمدينة قرمونة ضحوة يوم الجمعة الIo من شهر المحرم 557هـ وأنه كان أحد المهنئين بالنصر والممتنين لقائد الجيوش:" ولقد مشيت إليه وهنيته على الفتح" [2].

هذا جعله مصدرا موثوقا -إلى حد ما- اعتمده جل المؤرخين الذين أتوا من بعده.

- **ابن خلدون ونص العبر** أتى ابن خلدون في" تاريخه" بنصوص حول ابن همشك وابن مردنيش لا تختلف كثيرا على نص ابن صاحب الصلاة.

- **ابن الأبار** اعتبر من أكثر المؤرخين الناقلين على ابن صاحب الصلاة خاصة في كتابه" ثورة المريدين"، فمثلا في كتابه الحلة السيراء نقل عنه وأحال إليه في خمسة مواضع، بقوله[3]:" ذكره ابن صاحب الصلاة في كتاب" ثورة المريدين" من تأليفه".

ج/ التوثيق:

- التوثيق، المصادر في نص" الاكتفاء" لابن الكردبوس:

كانت نقول ابن الكردبوس متنوعة وكثيرة، ولتشابه الروايات كان عسيرا علينا إرجاع الأخبار والمادة التاريخية إلى أصلها، كما أنه لم يذكر مصادره في مقدمة كتابه، ولم ينقدها أو يعلق عليها أو يذكرها بأي خبر كان، كما أن طريقة توثيقه كانت مختلفة ومتنوعة.

ولما كان المؤلف قد تناول بالدراسة فترة زمنية تقارب ستة قرون فلا شك أن المواد التي اعتمدها تتنوع بتنوع المدة الزمنية، لذا جاءت مصادره التي اعتمدها في السيرة النبوية

---

(1) - David Thomas, Opcit, P 178.

(2)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص122.

(3)- ابن الأبّار؛ الحلّة السِّيَراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، 1985م، ط2، ج2، 207-208، 212، 221، 228، 233.

تختلف عن مصادر خلفاء بني أمية أو بني العباس، وهكذا دواليك.

فهو عادة ما يعزو الروايات إلى الراوي مباشرة أو أن يأخذ الروايات من المصادر المتقدمة بسندها. وأحيانا يسبق الرواي بعبارة " روي عن فلان" أو" روى فلان"، أو كقوله:" حدث جماعة" أو " حدث فلان"، أو " ذكر جماعة ممن عني بجمع التأريخ" [1].

كما أن هناك عديد من النصوص التي أوردها ابن الكردبوس انفرد بأخبارها فلم نقف على ما يوافقها في الكتب الأخرى التي توفرت لدينا، سواء منها ما توصلنا به، وتمكنا من الاطلاع عليه، وفحص محتوياته، أو ما لم نجد إليه سبيلا، مما لا يزال في حكم الضائع والمفقود.

أما الاعتبار الآخر فنرجح أنها لا تعدو عن كونها أخبرًا كاذبة أو ملفقة تأثرت بهوى أصحابها، خاصة إذا كانت هذه الروايات ضعيفة وكاذبة أجمع على تفنيدها جل المؤرخين، أو اتفقوا على كون أصحابها ضعاف الرواية لا يؤخذ بأخبارهم.

والغريب في هذا -وهو ما يؤرقنا صراحة- أن المؤلف كان يؤكد وفي عديد من المرات على صحة أخبارها، كقوله:" اعلم حقيقة ذلك أنه روي عن الحسن ابن جمهور" [2]، مع العلم أن هذا التأكيد الصريح قد يفيد معنيين أو احتماليين:

- إما أن الحدث الذي أتى بذكره قد صح حدوثه.
- أو قائم وقوعه، أم أنه يؤكد على حقيقة أخذه -الخبر- من مصادر معينة.

وما يمكن أن نعلق عليه أن هذه الأحداث قد تنطبق على الاحتمالين معا، أو تساند أحدهما دون الآخر.

من خلال تتبعنا للروايات والأخبار الواردة في الكتاب -ومع مقارنتا ومقاربتنا لها مع الروايات الأخرى في مصادر متنوعة- فيمكن أن نجزم أن هذه الروايات كانت على احتمالات مختلفة يمكن أن نجيزها فيما يلي:

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص482، 176، ج2، ص184 ج3، ص1351، ج3، ص1458، ج2، ص835

([2])- نفسه، ج1، ص141.

- روايات غير موجودة انفرد بها صاحبها -وقد شرحنا أسباب ذلك- [1].

- روايات انفردت عند شخص واحد دون غيره من المصادر [2].

- أخبار جاءت مطابقة -بتمامها- عند مجموعة من المصادر دون غيرها [3].

- أخبار أتى بها غير مختصرة، مسهب في ذكرها مقارنة بالكتب الأخرى [4].

- روايات انفرد باختصارها عن بقية المصادر [5].

- كتب السيرة:

- **ابن إسحاق** (85هـ- 151هـ/ 703م 768م) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي ولاء مولى آل قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، شيخ رجال السيرة [6].

المبتدأ والمبعث والمغازي أو **سيرة ابن إسحاق**: من أولى الكتب المؤرخة للسيرة النبوية والمغازي، رجع إليه ابن الكردبوس فيما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ، فأورد قوله:" قال ابن إسحاق". نقل عنه كثيرا، وكان يعتمد آراءه [7].

- **ابن هشام** (ت 213هـ/ 218هـ) الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، نشأ بالبصرة ونزل مصر واجتمع فيها بالإمام الشافعي [8].

كتاب السيرة: لابن هشام انتهت إليه سيرة ابن إسحاق واشتهرت على يديه إذ تعقب

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، 462، 473، ج2، 777-778، 829، 1006، 1056، 1066، 1070، 1109، 1113، 1124، 1141، ج3، ص1350، 1382، 1446، 1453.

([2])- نفسه، ج1، ص463، 478، 517، 609، ج2، ص1062، 1063، 1068، 1148، 1075، 1135، 1179.

([3])- نفسه، ج2، 1061، 1062، 1071، ج3، ص1342.

([4])- نفسه، ج2، 1001، 1055، 1057.

([5])- نفسه، ج2، 1070، ج3، ص1351.

([6])- ابن إسحاق؛ سيرة ابن إسحاق، تح: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، المغرب، 1976م، مقدمة التحقيق، ص يز.

([7])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص168، 281.

([8])- ابن هشام؛ السيرة النبوية، تخ: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، ط3، ج1، ص7.

ما كتبه بالتحقيق والتمحيص والتعليق، فاختصر وحذف منها ما رأى أنه يخرج عن إطار السيرة النبوية، وفي المقابل أضاف إليها بعض الروايات والأخبار التي وقف عليها:"... وتاركا بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء" [1].

أشار إليه المؤلف في كتابه مثل قوله:" ذكرها ابن هشام في كتابه السيرة" [2].

-كتب التاريخ الموضوعي:

- **المسعودي** (283هـ-346هـ/ 957م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي [3].

مروج الذهب ومعادن الجوهر: وضع فيه تاريخا عالميا تأثر فيه بأسلوب اليعقوبي فكان كتابه " مروج الذهب" شأنه في ذلك شأن " تأريخ اليعقوبي" يجمع بين التأريخ حسب الموضوعات وحسب الدول والحكام، واتبع في عهد كل خليفة توالي السنين جامعا بين أسلوبي العهود والحوليات [4]، سرد في مقدمة كتابه أكثر من مائة مصدر من مصادره التاريخية منها الثقاة ومنها الضعاف التي لا تؤخذ بروايتهم، وكان ابن خلدون أكثر تقديرا للمسعودي حلّاه بقوله:" فصار إمامًا للمؤرخين يرجعون إليه" [5]، لكن منبه عن أخباره:" من الموطن والمغمر ما هو معروف عن الإثبات".

نقل عنه ابن الكردبوس أخبارا تأريخية ونصوصا أدبية وحكايات ونوادر، وأشار إلى النصوص التي أخذها عنه بقوله:" وذكر المسعودي"، أو:" وقال المسعودي" [6]، قال محقق الكتاب:" لذلك غلب عليه أسلوبه ومنهجه" [7].

([1])- ابن هشام؛ المصدر السابق، ج1، ص8.

([2])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص144، 168، 281.

([3])- المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، مر: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ط1، ج1، ص5.

([4])-أحمد أمين؛ ظهر الإسلام، هنداوي، القاهرة، 2013م، ص410، 412؛ ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، مقدمة التحقيق، ص86-87.

([5])- المقدمة، ص7؛ شاكر مصطفى؛ التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط3، ج2، ص45-53.

([6])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص535، ج1، ص561، ج3، ص1344.

([7])- نفسه، ج1، مقدمة التحقيق، ص114.

كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لـ: " ابن قتيبة الدينوري".

- **ابن قتيبة الدينوري** (ت 270هـ/ 889م) أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشهير بـ:" ابن قتيبة الدينوري" [1]، الإمام الفقيه والنحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، فاضلا ثقة سكن بغداد، قال أبو بكر البغدادي [2]:" وكان ثقة دينا فاضلا، وهو صاحب التصانيف المشهورة"، رجح المؤرخون ورجال العلم أن الكتاب منسوب إليه.

كتاب الإمامة والسياسة: جمع فيه مؤلفه من طرائف الأخبار ونوادر التاريخ فيما يتعلق بمسائل الإمامة وما وقع أيام الصحابة والمتقدمين، رضوان الله عليهم، فمن ضروب الآراء ونقط السياسة المهمة [3]، -غير أنه قدح في صحابة رسول الله قدحا عظيما-.

نقل عنه ابن" الكردبوس" أخبارا عن الصحابة وأحداثا في عهد معاوية [4].

- **ابن عبد البر** (368هـ-463هـ) أبو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبر البر بن عاصم النمري القرطبي، حافظ المغرب [5] ومؤرخها في عهده، اعتمده الحميدي في" جذوة المقتبس" وأثنى ابن حزم على منهجه، ونقل عنه ابن بشكوال في" الصلة"، أما ابن الأبار فقد جعله مصدرا في الرواية عن الرازي مؤرخ الأندلس.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: جمع فيه 3500 ترجمة من أسماء الصحابة وهو أفصح كتاب معرفة في أخبارهم، وأكد فيه على الجانب التأريخي. استفاد منه ابن الكردبوس كثيرا فيما يتعلق بتأريخهم وتراجمهم [6].

([1])- ابن قتيبة؛ الإمامة والسياسة، تح: محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، مصر، 1904م، ص5.

([2])- تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ط1، مج11، رقم5262 ص411.

([3])- ابن قتيبة؛ المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص3.

([4])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص538، ج2، ص770.

([5])- شمس الدين الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ج3، رقم 1013 ص1128.

([6])- ابن عبد البر؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت، 2006م، ج1، ص6، ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص114.

- كتب التاريخ الحولي:

- خليفة ابن خياط (160هـ-240هـ) أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ:" شباب"، نشأ في البصرة، وسمع الحديث، أما عن توثيقه فقد ذكره البخاري في التأريخ الكبير دون أن يشير إلى تجريحه مما يدل على توثيقه، قال ابن حجر العسقلاني:" لم يحدث عنه البخاري إلا مقرونا، وإذا حدق عنه بمفرده علق أحاديثه" [1].

تاريخ خليفة ابن خياط: يعتبر أقدم تأريخ حولي وصل إلينا، وتظهر أهميته البالغة في دقته وحسن انتقاء مؤلفه لرواياته التي تتقدمها الأسانيد، وفق منهج المحدثين الذين ينتمي خليفة إلى مدرستهم، وكان محدثا فلا عجب أن يهتم بالإسناد حتى في رواياته التأريخية، أبرز موارده التي اعتمدها: محمد بن إسحاق، وهب بن جرير، أبو معشر (ت/170هـ)، علي بن محمد المدائني (ت/225هـ)، وهشام بن الكلبي،[2] وغيرهم كثيرون. اعتمد عليه ابن الكردبوس في أخبار الفتوح فقال:" وقال خليفة بن خياط".[3]

- النقل من عديد الرواة والاخباريين

- الرواة الثقاة

مجاهد ابن جبر (ت101هـ-104هـ) أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. شيخ القراء، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم [4]، قال عنه البيهقي [5]:" أحد أركان أهل التفسير"، وقال ابن حجر العسقلاني [6]:" ثقة إمام في التفسير وفي العلم".

([1])- خليفة ابن خياط؛ تاريخ خليفة ابن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، 1985م، ط2، ص5-9، 13؛ ابن حجر العسقلاني؛ تقريب التهذيب، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، 1986م، ص195.

([2])- خليفة ابن خياط؛ المصدر السابق، ص3، 16-20.

([3])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص538، ج2، ص669.

([4])- شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج4، ص449-450.

([5])- الأسماء والصفات، تح: عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط1، ج2، ص

([6])- تقريب التهذيب، تح: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، 1421هـ، ص921.

ذكره ابن الكردبوس ونقل عنه بقوله:" قال مجاهد" [1].

الشعبي ابن شراحيل (ت/102هـ) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي. راوية من التابعين، قال بعضهم:" ما رأيت أفقه منه" [2]، وقال شمس الدين الذهبي:" علامة التابعين أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي من شعب همدان مولده في أثناء خلافة عمر فيما قيل كان إماما حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا" [3].

أفاد منه ابن الكردبوس ونقل أخباره:" وروى الشعبي واسمه عامر بن شراحيل" [4].

- الرواة الضعاف

دعبل ابن علي الخزاعي (ت/246هـ) الشاعر المُفلق، رافضي بغيض سبَّاب، كذاب، عاش نحوا من تسعين سنة، وله عن مالك بن أنس وغير أحاديث كلها باطلة، له كتاب في " طبقات الشعراء" [5].

ذكره ابن الكردبوس في كتابه:" قال دعبل بن علي الخزاعي" [6].

أبو مخنف لوط ابن يحيى الأزدي (34هـ-114هـ) أخباري متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، وقال عنه شمس الدين الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به [7].

أفاد من أخباره بقوله:" فيما ذكر جماعة من المؤرخين مثل وهب بن منبه وأبي مخنف لوط...". [8] كان اعتماده في قسم السيرة النبوية.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص669.

([2])- ابن حجر العسقلاني؛ المصدر نفسه، تح: محمد عوامة، ص287.

([3])- تذكرة الحفاظ، ج1، ص79.

([4])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص841.

([5])- البغدادي؛ تاريخ بغداد، المصدر السابق، مج 3، ص 593؛ ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص139.

([6])- نفسه، ج2، ص757.

([7])- نفسه، ج1، ص139.

([8])- نفسه، ج1، ص139.

- الإسناد في الروايات التاريخية

كان منهج المؤلف في عرض مادته إهمال الأسانيد، لأنها كانت قد استقرت في عصره[1]، ذلك أن وجود الأسانيد يحيل إلى التكرار والتطويل. فكان رأينا أن المؤلف أخذ الروايات من المصادر المتقدمة بسندها.

إلا أن هذا لا يعني أن الإسناد قد غاب تمامًا من هذا الكتاب، وإنما كان يظهر بين الفينة والأخرى. مثل قوله:" روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال"، أو قوله:" وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال"، " وروي ضمرة ابن ربيعة عن ابن عطاء عن أبيه قال"[2].

ولا نعلم سبب إيراده في حادثة دون أخرى، فكان ذلك إما رواية عن مصدر متقدم بإسناد صاحب ذلك المصدر إلى الراوي الأول، مما تكون إفادته إيجابية وهي إسناد الحدث إلى واقعه و الخبر إلى مخبره، وأن يعرف لنا بمصادر جمة لم نكن على علم بها، أو أن نستنتج -من خلالها- عدد المؤلفات التي اطلع عليها، أو أخذ منها معلوماته، كقوله [3]:" ذكره أبو القاسم: عبد الله بن محمد البغوي في معجمه، ورواه عن محمد بن زهير المروزي، عن صدقة ابن سابق، عن محمد بن إسحاق...".

- التوثيق في نص" المن بالإمامة" لابن صاحب الصلاة:

- المصنفات التاريخية والجغرافية:

-**المسعودي** (ت/345هـ) أبو الحسن على بن الحسين بن علي من ذرية ابن مسعود، قال شمس الدين الذهبي[4]:" عداده في" البغاددة"، ونزل مصر مدة وأقام بها، كان أخباريا معتزليا"، من تصانيفه:" أخبار الزمان ومن أباده الحدثان"، تاريخ في نحو ال30 مجلدا.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي ، ج1، ص108.

([2])- نفسه، ج2، ص713، ج1، ص131، 141، 177، ج2، ص750، ج1، ص129.

([3])- نفسه، ج1، ص278، 129، 131، 141، 177، 175، ج2، ص750، 1321.

([4])- سير أعلام النبلاء؛ ج15، ص569.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: في صنف التواريخ العامة على جزئين: الأول مندرج فيه الخليقة وقصص الأنبياء مختصرا، ثم وصف البحار والأرضين وما فيهما من العجائب، ويدخل في ذلك تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسريان واليونان والورمان والإفرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها، ثم عطف على تاريخ الرسالة الإسلامية من ظهور النبي إلى مقتل عثمان[1]، وهو الجزء الذي اعتمده ابن صاحب الصلاة؛ معتمدا فيه على اقتباس لم يتجاوز السطرين في ذكره لأصناف الروم:" وأشد ما على أهل الأندلس من الأمم المحاربة لهم من الجلالقة على أن الافرنج حرب لهم غير أن الجلالقة أشد بأسا" [2].

- **ابن العربي** (ت/ 543هـ) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الاشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، ولد عام 468هـ وأخذ عنه ابن بشكوال، ورد على المغرب لتقديم طاعته للموحدين [3]، له تصانيف كثيرة أبرزها:

ترتيب الرحلة للترغيب في الملة: أو **الرحلة** -اختصارا-، يعتبر ابن العربي أول من وضع أسس الرحلات بالغرب الإسلامي، ووصف رحلته وصفا دقيقا تتبع مراحلها، وذكر البلاد والمشاهد التي زارها، ودون الحركات العلمية والأحداث التاريخية التي عاشها. الكتاب يعتبر مفقودا إلى الآن، وربما ضاع على عهد صاحبه -كما تفيد عبارته-:" فلما شذ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سبق في علم الله من التدبير؛ رأينا أن نجدد ما سلم من الرقاع الموجودة مع ما حضر في الذكر، ليكون عنوانا لما جرى، وتنبيها على فضل من تأوب وسرى" [4].

لذلك يخيل إلينا أنه كان عاملا وقف على درب ابن صاحب الصلاة للأخذ منه لذلك كانت محدودة لم تتجاوز قوله:" نعمت المعرفة التعرف بالسلطان، والتشرف به عند التغرب

([1])- أبو الحسن ابن علي المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيوت، 2015، ط1، ج1، ص6.

([2])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص288.

([3])- شمس الدين الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج20، ص197-198.

([4])- سعيد أعراب؛ مع القاضي أبي بكر ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط1، ص169.

من الأوطان، ونعم العون على العلم الرياسة بالأمن والاستيطان" [1]، علل بها سبب صحبته لركب الخليفة ومرافقته له إلى الحضرة العلية، هذه الأخذة لا تشفع لنا في الوقوف بمحتوى الكتاب.

- **المراسلات الملكية** في عمومها لا تخرج عن محتوى:" أمر واجب تنفيذه"، أو طلب "دعم"، وإما "لقطع العلائق أو توطيدها" أو "تثبيط عزيمة" لخصم وقت الحرب، أو نبوءات عن فتح- طلب لحضور مجلسا أو لبيعة وإعلان ولاء، أو تهنئة لانتصار، أو طمأنة[2] بعد هزيمة، وكلها كانت حاضرة في نص الكتاب.

غير أن هذه المراسلات لم تقف عند حاجز العصر الموحدين فقط، بل شملت على رسائل ووثائق يعود تاريخها إلى عهد الدولة الأموية مثل:" وثيقة التأسيس لجامع عمر ابن عدبّس" جاء فيها ما قوله:" يرحم الله عبد الرحمان بن الحكم الأمير العدل المهتدي.. الآمر ببنيان هذا المسجد على يد عمر بن عدبّس قاضي اشبيلية في سنة أربع عشرة ومائتين، وكتب عبد البر ابن هارون" [3].

- **الرواة:** بطريقة غير مباشرة فإنه يتصور لنا أن ابن صاحب الصلاة رتب رواته إلى ثلاثة أصناف:

- **الرواة الثقات** ويكون ذكرهم في الأحداث الخطيرة التي كان المؤلف قد غاب عنها مثل قوله:" قال الراوية الثقة" [4]، وكان ذكره في موضع واحد عن خبر عبد المؤمن.

- **الرواة الشيوخ والأساتذة** اختلفت صياغاته كما اختلفت أخبارهم فيورد مثلا:" حدثني أبو عياش الكومي، أحد أشياخ كومية"، أو يقول:" حدثني الفقيه الخطيب أبو محمد المالقي"، أو:" حدثني أبو القاسم بن أبي هارون". أما سيد" راي بن وزير" [5] من إشبيلية فكان من أكثر الرواة الذين اعتمد عليهم المؤلف، وكان يجيد اللسان الأعجمي.

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص185-186.

([2])- نفسه، ص299، 272، 277، 225، 260، 262، 70، 304، 275. وبقية المراسلات؛ ص77، 78، 229، 230، 233، 244، 201، 246، 265، 275، 292، 263، 261، 259، 230.

([3])- نفسه، ص397.

([4])- نفسه، ص112.

([5])- نفسه، ص118، 283، 110، 211، 291، 152، 315.

- **الرواة الكُتَّاب والزملاء** وهم لا يفوقونه درجة، في مرتبة أو أقل منه رتبة، لذلك نجده يذكرهم بأسمائهم:" حدثني الكاتب أبو عبد الله بن محسن كاتب ديوان التمييز " [1]، أو:" حدثني أبو العلاء بن عزون" [2]، إضافة إلى رواة لم نستطع الحصول على هوياتهم لإضمار المؤلف صفاتهم أو كناهم:" قال الراوية" [3]، أو:" حدثني من حضر " [4].

- **الإسناد** مثل قوله:" قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن سينان حدثني الشيخ أبو عبد الله قال" [5].

- **المشاهدة** مثل قوله:" قال المؤلف عبد الملك ابن صاحب الصلاة" [6]، أغلبها لا تخرج عن مجال اجتماعات البلاط أو السلطة أين كان حاضرا، أو الحواضر والأعمال المعمارية أين أمسى يتحدث عما رآه رؤيا عينه [7] التي كان حاضرا فيها بين حدود العدوة الأندلسية والحضرة العلية وعدوة المغرب، أو كان مشاركا في صنع الأحداث وأحد أطرافها:" ولقد مشيت إليه فيها وهنيته على الفتح" [8]، مما تعطينا تصورا عن مكان تواجده في وقت معين. فمثلا يصف لنا دخوله بلنسية:" ووفيتها -بلنسية- والصبح قد ألبسها قميصه" [9].

د/ البنية:

- بنية النص وأسلوب الكتابة في نص" الاكتفاء":

على غير العادة نجد مؤرخا مغربيا -سواء كان من العدوة أو من بلاد الأندلس- بعيدا عن الأساليب الأدبية والتنميق اللفظي، فكان نص ابن الكردبوس في غاية البساطة في سرده للوقائع والأحداث، فكان سهلا على القارئ أن يستوعب أفكاره، وأن يصل إلى أغراضه،

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص347.

([2])- نفسه، ص407.

([3])- نفسه، ص70، 379، 323، 165، 160، 163، 118، 149، 271.

([4])- نفسه، ص257.

([5])- نفسه، ص117.

([6])- نفسه، ص180، 349، 195، 200، 216، 258، 283، 388، 302.

([7])- نفسه، ص180، 122.

([8])- نفسه، ص185، 422، 415

([9])- نفسه، ص422.

فكان أبرز ما تميز به نص ابن الكردبوس؛ الوضوح، والدقة، والاختصار، دقيقا في سرد أخباره، مختصرا في مجمل كلماته، ضابطا في تواريخه.

غير أن نصه لم يخلُ من الألفاظ الصعبة التي تحتاج إلى الشرح من القواميس والمعاجم الأدبية، فكانت الألفاظ العربية والفارسية، والسريانية أو العبرية واليونانية واللاتينية المعجمة حاضرة في النص، شرح ما رأى أنه بحاجة إلى شرحه، وترك بعضها عملنا على شرحها.

- **الألفاظ العربية:** مثل: خَلَّة وتعني مكانة الإنسان الخالية بعد موته [1]، قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: لا خَلّة مع عيلة ولا مُرُوة مع ضرّ ولا صبر مع شكوى [2].

- **الألفاظ الفارسية:** كانت واردة في النص، مثل النمارق [3]، والديباج [4].

كما أن نص ابن الكردبوس -وباعتباره نصا تاريخيا- لم يخلُ بأسماء الملوك العجم التي اتفق المؤرخون العرب أن يصطلحوا عليهم تسميات قريبة من معانيهم على حسب تعريبهم أو رتبهم العسكرية، بالإضافة إلى بعض الألفاظ والمناصب والرتب والآلات العسكرية، مثل:" قهرمانة"،" الدرنجار" [5]، أو لفظ. " البِطريق" [6].

([1])- الفيروزآبادي؛ القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8، فصل الخاء (مادة خلل)، ص994.

([2])- العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ط1، ج3، ص16.

([3])- **نمارق**؛ جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة وقال صاحب العقد: لهم بُيوت تدْخل حَبْواً إلى غير نمارق وَلا وَسائد. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ط1، مادة (نمرق)، ج10، ص361،

(إبراهيم مصطفي؛ المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د. ت، ج2، ص954).

([4])- **الديباج**؛ فارسي معرب، وتعني الثياب المتخذة من الإبريسم.

(ابن منظور؛ المصدر السابق، (مادة دبج)، ج2، ص262).

([5])- **الدرنجار**؛ رتبة لقائد على خمسة آلاف، والدرنجار، معروف في المدونة الإسلامية بصاحب الميسرة في جيش الروم في وقعة اليرموك. (ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص341 ج2، ص991).

([6])- **البِطريق**؛ جمعه بطَارِقةٌ والبِطْرِيقُ بلغة أَهل الشام والروم هو القَائدُ معرَّب، وهو الحاذق أو العارف بالحَرْب وأُمورها -بلغة الرُّوم- وهو ذو مَنْصِب وتقدُّمٍ عندهم، وقال أُميّة بن أبي الصَّلْتِ: من كُلّ بِطْرِيقٍ -لبط ريقٍ- نَقِيّ الوجْهِ واضِحْ، ابن سيده البِطْرِيق العظيم من الرُّوم وقيل هو الوَضِيء المُعْجب ولا توصف به المرأَة.

(ابن منظور؛ المصدر السابق، ج10، ص21)؛ (محمد ابن الرازي؛ مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، ص73)؛ (ابن الكردبوس؛ المصدر نفسه، ج1، ص341).

المنجنيق: وهو القذاف التي ترمى بها الحجارة، وهو مصطلح فارسي معرب، وأصلها بالفارسية من " جي- نيك"، أي؛ ما أجودني. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيبويه: هي على وزن فنعليل، وحجاره تسمى" الجنق"، ويقابلها بالمعنى اللاتيني: (Mangonel)، وتصغيرها؛ (Manganum) [1]، ولا يخفى علينا أن اعتبر المنجنيق من أشهر الأسلحة التي استخدمت في العصور القديمة في الحروب بين الفرس واليونان، وفي الحروب البونيقية بين الرومان وقرطاج، وفي العصور الوسطى والحروب الصليبية، والحروب الدينية في أوروبا وحرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا

البارقليط: أختلف في أصله إما يوناني اللفظ أو اشتقاق باللغة العبرية القديمة. ويؤمن المسيحيون أن" البارقليط" تعني الروح القدس، ويقابله بالعربية الشفيع -المعزي.

في إنجيل يوحنا [2] الإصحاح 16 يقول:" لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ". يوحنا 16:7

و" وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ" [3]. يوحنا 16:8

" إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ". يوحنا 16:12. " وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" [4]. يوحنا 16:13

" ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" [5]. يوحنا 16:14

([1])- ابن منظور؛ المصدر السابق، مادة (مجنق)، ج10، ص338، مادة (جنق)، ج10، ص37؛

- Angus Stevenson, Oxford Dictionay of English, OXFORD University Press, United Kingdom, 2010, Third Edition, (mangonel), P 1076.

([2])- الكتاب المقدس؛ إنجيل يوحنا، الإصحاح 16، إنجيل يوحنا: 16:7.

([3])- الكتاب المقدس؛ إنجيل يوحنا، الإصحاح 16، إنجيل يوحنا: 16:8.

([4])- الكتاب المقدس؛ إنجيل يوحنا، الإصحاح 16، إنجيل يوحنا: 16:13.

([5])- الكتاب المقدس؛ إنجيل يوحنا، الإصحاح 16، إنجيل يوحنا: 16:14.

ذلك أن المسلمين ساروا خلاف ذلك بقولهم أن" البارقليط" أو" المُعَزِّي" والدلالات الواردة -في الإنجيل- ما هي إلا أسماء أخرى لمحمد ﷺ.

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٦﴾[1] سورة الصف [6].

وأحمد هو اسم آخر لمحمد وهي أسماء مترادفة في اللغة العربية.

أو أسماء الملوك والحكام مثل سابور ذي الأكتاف- الأردشير- جرجير - جريجوريوس-، ألفنش. وردمير[2]-ونعني به الملك سانثو راميريث (Sancho Ramírez) ملك أرغون (1094-1064) ونافارا وهو ابن راميرو الأول ملك أرغون-[3]، وشانجه[4]أو سانشو ال3 الملقب بالعظيم (Sancho III of Castile) ملك نافارا وقشتالة وليون وأرجون.

تنوعت أغراض النص لكتاب الاكتفاء فكان مزيج بين النص الأدبي -نثرا وشعرا-، والنص الديني من الحديث النبوي والقرآن الكريم [5]، في صبغة تاريخية.

عادة ما كان الشعر يورد بأغراض متنوعة فيأتي إما في مدح أو في رثاء الخلفاء، أو إعطاء صورة أخرى لحياتهم، أو أن يكون دعما لحادث، أو سندا لخبر [6]، غير ان معظم

([1])- القرآن الكريم؛ سورة الصف، الآية [6].

([2])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، ج1، ص424، ج2، ص1224-1226، ج2، ص1271، ج3، ص 1353.

([3]) - Ernest E. Jenkins, THE MEDITERANEAN WORLD of ALFONSO II and PETER II of ARAGON: (1162- 1213), PALGRAVE MACMILLAN, United States of America, 2012, first published, P 49-62.

([4])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص1226-1227.

([5])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص140، 188، 266، 595، 610، 454، ج2، ص748-749، 988، 1041، 1068.

([6])- نفسه، ج1، ص273، 370-371، 390-392، 474-476 ج2، ص1150. 1092-1100، 1335، 1394.

هذه النصوص الشعرية تكون موضوعة أو لا تعبر عن المشهد الحقيقي للحدث، فكانت المبالغة في الوصف، أو التحريف في الأحداث حاضرة في النص الشعري.

- التأريخ للأحداث

لعل ما يميز نص ابن الكردبوس هو الدقة في أسلوب الكتابة بالإضافة إلى دقته في ضبط الأحداث التاريخية، فهو يولي عناية كبيرة بالتواريخ وسني الأحداث، فهو مثلا يؤرخ لمعركة بدر بقوله:" ثم غزوة بدر التي قتل فيها صناديد قريش -وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر الله المعظم رمضان، وافترض رمضان، وحولت القبلة قبلها بشهرين-" ما يثير الاعجاب حقا هو أن ابن الكردبوس استطاع أن يضمن لنا أخبارًا في إطار سرده لأحداث متنوعة، فهو مثلا أرّخ لمعركة بدر وضمن نسقها أخبرنا عن حدث تغيير القبلة[1]، وهو حدث لا يقل أهمية عن الحدث الذي قبله.

كما لم يألُ في ربط الأحداث بعهود الخلفاء أو أحداث أدرك أهميته، فهو مثلا يربط وقعة أجنادين 13هـ بتاريخ وفاة أبو بكر الصديق:" وكان الفتح بأجنادين في جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه، يوم السبت نصف النهار، سنة 13هـ، قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربع وعشرين ليلة"، وفي وقعة مرج الصُّفَر يقول [2] :" يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام".

مما يستوضح لنا الصورة ويستجلي لنا خبايا قد نكون أغفلناها في ظرف من الظروف، وبالتالي كان ضبطه للتواريخ دقيق إلى حد ما.

- الإحصاء:

كان الإحصاء من ضمن متعلقات الخليفة أو الحاكم والملك الذين يؤرخ له ابن الكردبوس، فأتى بذكر أخبار إحصائية لسنون عهودهم، وفترة تقلدهم للحكم، أو أن يأتي بحصر لعدد أزواجهن، أو مبلغ أبنائهم، أو فتوحاتهم وعدد معاركهم، وأخبار وفياتهم، فكان الإحصاء من جملة ما قام عليه النص التاريخي عند ابن الكردبوس.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي ، ج1، ص169.

([2])- نفسه، ج1، ص259-260، 263-264.

- **الغزوات والسرايا:** أتى بذكر غزوات النبي والسرايا في عهده وزمنه، كقوله:" كانت بعوثه وسراياه -ﷺ- من هجرته إلى أن توفي ثمانية وثلاثين بين بعثة وسرية".

- **فترة الحكم وعهود الخلفاء:** فمثلا يذكر مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:" وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال"، أما في خلافة عثمان رضي الله عنه فذكر:" وكانت خلافته رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثنا عشر يوما".

- **في ذكر الغنائم وأموال الخراج والزكاة:** مثل:" وصالحوه على مائة رطل من الذهب. وقيل على ألفي ألف دينار وخمس مائة دينار وعشرين ألف دينار".

- **المعارك وأعداد الجيوش ومبلغ الأجناد والعساكر:** فمثلا أتى على ذكر نتائج وقعة أجنادين 13هـ، أو عدد جنود الروم في وقعة مرج الصفر، أو أن يأتي بعدد جيوش علي ومعاوية رضي الله عنهم [1].

أما إذا كان لا يعرف عددا أو لم تتوفر لديه دقة فعادة ما يذكر أرقامه بصيغة التعميم، كقوله:" وكان الروم يومئذ عشرون صفا، لا يرى طرفا لهم... والمسلمون ثلاثة صفوف"، -في وقعة اليرموك-، أما إذا كان هناك تباين في العدد أو تعدد في المعطيات فيوردها بصيغة:" وقيل إنهم كانوا -جيوش الروم- أربعمائة ألف" [2].

- بنية النص وأسلوب الكتابة عند ابن صاحب الصلاة:

جاء نص ابن صاحب الصلاة مزيج في استخدام الألفاظ والمصطلحات في إيراد الأخبار، لعل سبب هذا التنوع هو معايشته للأحداث في بيئتين مختلفتين؛ البيئة الأولى وهي الأندلس؛ كانت أحداثها متصلة أكثر مع الأعاجم فكان وجوب إيراد ألفاظها لازما، والبيئة الثانية بلاد المغرب؛ التي تحوز على كثير مناطق تتواصل باللسان البربري.

لكن إذا ما تم المقارنة بين البيدق وابن صاحب الصلاة نجد الأول أكثر استعمالا للسان البربري بخط عربي، في حين كان ابن صاحب الصلاة أكثر استعمالا للغة العجم في صيغة تعريبها.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص175، 470، 426، 259-263، 426

([2])- نفسه، ج1، ص340، ج2، ص684، 470.

لذلك كان طبيعيا أن يأتي النص مزيجا من الألفاظ والمفاهيم تبعا لتاريخية النص والبيئة المؤرخ لها.

أسماء الملوك والرتب العسكرية

أدفونش السليطن [1]؛ وهو ألفونسو ال7 (Alfonso VII) [2]، **(1105م-1157م)**، ملك قشتالة وليون، حكم جليقية من 1112م، وقشتالة وليون من 1126م، توفي اثر صراعه مع الموحدين في مضيق مورادال، **والببوج**؛ وهو فرناندو ال2 (Ferdinand II of León) [3]،

ألبارهانس (Alvar Fanez) أو (Alvar Hanez) توفي عام 1114م حاكم طليطلة على عهد الملكة أوراكا (Queen Urraca) ملكة قشتالة وابنة ألفونسو ال6 (Alfonso VI) ووالدة ألفونسو ال7 (Alfonso VII) [4].

الأقماط [5]؛ جمع قمط وتعني الكونت (Count)منصب عسكري في النظام الإمبراطوري الروماني، ورتبة في طبقات النظام الاقطاعي الأوروبي (The Feudalism). وهو أعلى مرتبة من الفارس (Knights)، وأقل رتبة من الامبراطور (Emperor)، أو الملك (King)، يصاحبه ويكون ساعده الأيمن، وعادة ما يكون قريب من ولي العهد أو الأمير النبيل (Nobles)، لتعليمه والإشراف عليه، هذه العلائق أحد مظاهر النظام الإقطاعي. أما

---

(1)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص284، 295.

(2)- نفسه، ص284.

- Jim Bradbury, Medieval Warfare, Routledge, NEW YORK, 2014, first published, P 8.

(3)- **فرناندو الثاني** (1137م-1188م) ابن ألفونسو ال7 ملك قشتالة من أسرة بورغاندي في كثير من الحالات يسمونه في المدونات الأجنبية بفرديناند ال2 ملك ليون و قاليسيا -في المدونة الإسلامية العصر الوسيط يكتبونها جليقية والجلالقة- . حضر وقعة الأرك سنة 592هـ، وغدر بالناصر عام العقاب سنة 609هـ. لقب الببوج أو (El Baboso)؛ ومعناه الكثير اللعاب، كما يفسر ذلك صاحب المعجب، ومن أولى من أرخ له المؤرخ اللاتيني (لي دي تي Lucas de Tuy).

(ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص153).

(4)- OLIVIA REMIE CONSTABLE, Medieval Iberia: Readings from Christian, Muslim, and Jewish Sources, PENN, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, Printed in the United States America, 2012, 2nd ed, P 133-147.

(5)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص315.

زوجته فتحمل لقب الكونتيسة (Countess)، اللفظ القمط بالإنجليزية Count، وبالإسبانية Comité، وباللاتينية Comitis، وهي أقرب للاشتقاق العربي.

مصطلحات جغرافية مثل: الغرب، والجوف [1] -أخذه من نص المسعودي-.

البربرية والمغربية والعربية جاءت بألفاظ عامية ومغربية كانت متداولة على عهده كالرقاص [2]؛ ويقصد به عامل البريد، العريف [3] أو البربرية مثل مُنْتِيقمِّي [4]-البرانية- الفايت -تدل على الزمن الماضي أي سبق أن...- مثل قوله:" الفايت وصفها" [5]- الغفاير - والرجالة؛ وهي رتبة في الجيش الموحدين ويعنى بها المشاة من الجنود.

الدقة في الأحداث

إن أول ما يلاحظه الدارس لنص ابن صاحب الصلاة أثناء سرده للأحداث، هو عنايته القصوى بضبط الأحداث وتختلف طريقته في ذلك من موضع لآخر.

التاريخ الهجري الإسلامي وما يوافقه من التقويم اليولياني يكون ذكرها في الأحداث الجليلة والأخبار العظيمة:" يوم السبت الرابع من شهر رجب الفرد، بموافقة اليوم الثالث عشر من شهر مارس العجمي، من سنة 566هـ" [6]، وهي تمثل حركته -الخليفة- السعيدة.

تاريخ متكامل كأن يذكر:" كان يوم الجمعة من اليوم الذي عزم فيه بعد الصلاة أن يسير، وهو اليوم الخامس عشر من ربيع الأول وبموافقة اليوم الثاني والعشرين من مارس العجمي عام 555هـ خرج من الصلاة من الجامع فحين انفتل منها، ودخل في القطعة

([1])- **الجوف**؛ يعني الأقدمون بالجوف الناحية المقابلة للقبلة، فهناك شرق وغرب وهناك جنوب يعبر عنه بالقبلة والشمال يعبر عنه بالجوف. (ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص288).

([2])- نفسه، ص230.

([3])- **العريف**؛ عادة ما تطلق على المهندس أو الخبير بأمور البناء، كثر حضوره في وصف المنشآت المعمارية التي أقامها الموحدون في بلاد الأندلس وجبل طارق. (ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص391).

([4])- **منتيقمي**؛ أصله (امي نتكمي Emin- Tgémmi)، ومعناه باب الدار، والقصد في الكتاب إلى السقائف. (ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص200).

([5])- نفسه، ص390.

([6])- نفسه، ص 349، 92، 119، 151، 179، 213، 308، 217، 389، 399.

المذكورة، ووصله الخبر بغدر الفسقة... في تلك الساعة" [1]، قد تكون عبارة تاريخ متكامل مبالغ فيها، غير أنها أقرب بأن تعطينا صورة حقيقية يخيل لنا فيها، تعطر الخليفة للصلاة ولباسه الأبيض وإلتمام مشايخه و...

التاريخ لا يعدو عن كونه عمل المؤرخ في أخرى مواضع اكتفى المؤرخ بأن يذكر لنا تاريخ وقع الحادثة كقوله:" وفيها توقف المطر للاحتراث...وفيها زاد ضعف مدينة بطليوس...وفيها مرض الخليفة" [2]، يتخيل إلينا اكتئاب المؤلف للوضع، أو فتوره واضطرابه لأمر خليفته، تدفعه حاجة واحدة يؤرخ لها هي الاعتبار.

هـ/ المنهج:

- المنهج والخصوصية في نص الاكتفاء لابن الكردبوس

نظر ابن الكردبوس في تدوين مؤلفه إلى كل المناهج التي استخدمها المؤرخون قبله.

ولعل القول أن ابن الكردبوس كان عارفا بالمدارس التاريخية في وقته قد يدخلنا في بعض التناقضات، إلا أن ما يمكن الاطمئنان له أنه كان مطلعا عليها ومدركا لها، فكان على اطلاع بمنهج المسعودي -باعتباره أخذ الكثير من أخباره- الذي زاوج بين المنهج الحولي والموضوعي في سرد أحداثه متأثرا في ذلك باليعقوبي في تاريخه.

وابن الكردبوس لعله أيضا تأمل في منهج ابن عبد البر في كتابه " الاستيعاب" [3]، الذي تميز به عن غيره ممن كتب في الصحابة أكد من خلاله على الجانب التأريخي في تراجمهم، وأكثر من النقل عن المؤرخين.

اتبع ابن الكردبوس طريقة الحوليات؛ أي أرخ للأحداث سنة بعد سنة فنجده يقول:" وفي سنة أربع عشرة فتحت..."، أو يقول:" وفيها كانت وقعة..."، وعبارة:" وفي سنة ثمان وثلاثين..."، أو مثال قوله:" وفيها كانت..."، أو:" وفيها بعث..." [4]، وهلم وجر.

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق ، ص90-91.

([2])- نفسه، ص310، 311، 312.

([3])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، مقدمة التحقيق، ص86-88.

([4])- نفسه، ج1، ص337-339، 338، 343، 564، 337-339.

وهو المنهج الذي سار عليه واشتهر به ابن جرير الطبري. وهي طريقة لها مزايا بغير شك، إذ هي تضمن تسلسل الترتيب الزمني للأحداث ولكنها كثيرا ما تمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين، لذلك نجده في كثيرا من المواضع يتخلى عليها ويسلك التأريخ الموضوعي فعالج تأريخ الخلفاء والملوك على أساس أن يتبع في عرض المادة تسلسل العهود خليفة بعد خليفة واتبع في عهد كل واحد منهم توالي السنين جامعا بين أسلوبي العهود والحوليات، كأسلوب اليعقوبي في تاريخه، والمسعودي من بعده.

وكان معظم المؤرخين الذين اتبعوا هذا المنهج يضيفون قبل المضي في دراستهم لشخصية الخليفة أو الحاكم موضوع الدراسة: الاسم والكنية والصفات الجسمانية له، وأحيانا يوردون قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب. وأبرز الرجال الذين خدموا الدولة في عهده[1]، وهو ما نشاهده في كتاب ابن الكردبوس.

لقد نظر ابن الكردبوس في كل هذه المناهج المختلفة، فرأى أن بعضها يكمل بعضا، وسار على نهج الاستفادة منها جميعا، كل ذلك على طريق التقريب على قارئه، والاختصار على الناظر فيه.

خلافا لما أتى به محقق الكتاب- بقوله:" أن المؤلف ابن الكردبوس عمل على انتقاد مادته العلمية التي أودعها كتابه، وأنه أعمل فيها نظره وفكره، وأصدر فيها أحكامه"[2]، فإننا نرى عكس ذلك، ذلك أن المؤلف كان مجرد ناقل للروايات، جماعا للأخبار، دون إعمال نقد ولا تمحيص، فكانت ملكة النقد عنده غائبة، ذلك كان واضحا من خلال تصفحنا للكتاب فهو يأتي بسرد مختلف الروايات التاريخية لحادثة معينة وما قابلها دون أن يعطي رأيه، أو يرجح رواية على الأخرى، مكتفيا بالتوصيل بينهما بعبارة " قال"، أو " قيل"، ونخالف المحقق -مرة أخرى- في أن العبارة الأخيرة قد أوردها في الآراء التي يشك في صحتها، فوجدنا غير ذلك فكثيرا من الحالات كانت تدل على الرأيين معا[3]، -أي أنها لم تكن ذا معنى ثابت-.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص87.

([2])- نفسه، ج1، ص106.

([3])- نفسه، ج1، ص669، 671، 340، 388، 462-463، 470، 146

لماذا تعتبر دراسة ابن الكردبوس في نص الاكتفاء عسيرة على المؤرخ؟!

أشار الباحث والمؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري، إلى وجوب دراسة تاريخ تطور الكتابة التاريخية ودراسة المؤرخ دراسة نقدية [1]، وبدونهما فإنه يتعذر علينا فهم التاريخ الإسلامي إلى حد ما، ولن نستطيع فحص مصادرنا التاريخية ونقد رواياتها وتمييز القوي من الضعيف والأول أو الأقدم من التالي والأحدث، والأصيل والواقع فعلا من الموضوع أو المنحول أمره.

ولعله -ليس علينا التذكير- بأن من كتبوا في التاريخ الإسلامي كثر، غير أن ما يهم أن نشير إليه هو أثر التيارات السياسية والحزبية، إلى دور القصاص والمسامرة فيها إلى أثر الشعوبية، إلى المؤثرات الدينية.

فالطبري مثلا من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ووهب بن منبه، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، والزهري، والواقدي، وكعب الأحبار -وهي المصادر التي اعتمداها المسعودي، وهي نفسها التي اعتمدها ونقل عنها ابن الكردبوس-.

لكن ما يوجب أن مطرحه هو: لماذا استمر هذا النوع من الاعتماد على هذه النقولات؟

نستشف أن الطبري (224-310هـ) لم يستطع أن يتخلص من ضغط هذه التيارات المختلفة، ومع ذلك فإنه -على الأقل- يتبرأ منها في مقدمة كتابه، فهو القائل:" وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، وإنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، وغير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج

([1])- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص10.

بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا" [1]، إذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر.[2]

- منهج ابن صاحب الصلاة في تاريخه

لما كان كتاب المن بالإمامة في عمومه تاريخ حدثي يؤرخ فيه للوقائع فإننا نرى صاحبه حاول أن يسير في سرد أخباره على المنهج الحولي، على حساب المنهج الموضوعي:" ذكر الأحداث في هذه السنة"، أو:" وفي هذه السنة"، وعبارة:" سنة 563هـ"،" وفي هذه السنة أيضا" [3].

ولما كان لهذا النهج من قصور يحيل على صاحبه من ذكر الأحداث دون انقطاع، فمن المآخذ التي أخذت على هذه الطريقة أنها كانت تمزق الحدث وسياقه التاريخي الطويل الذي قد يمتد عدة سنوات فلا يذكر منها إلا ما يخص السنة التي يتحدث عنها ويجمع كل الأحداث التي حدثت فيها انتقدها ابن الأثير (ت/ 630هـ) :" ورأيتهم أيضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي الحادثةُ مقطّعة لا يحصل منها على غرض، ولا تُفهم إلاّ بعد إمعان النظر" [4]، قلنا ولما كان هذا التمزق في سياق الحادثة فإنه كان يعمل جاهدا على لملمتها:" بقية أحداث سنة 560هـ" [5] أو الرجوع إليها في موضع انتهائه:" رجع الخبر" [6]، لذلك نجده يكد جهدا في المزاوجة بين

([1])- تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م، ط2، ج1، ص7-8.

([2])- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م، ط4، ص42.

([3])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص310، 277، 283، 305، 258، 284، 286، 308.

([4])- الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ط1، مج1، ص7.

([5])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص210.

([6])- نفسه، ص308، 319، 378، 398.

المنهج الحولي -كما ذكرنا- جنبا إلى جنب مع المنهج الموضوعي، فهو تارة يحصر عنوانه بسنة معينة:" سنة سبع وستين وخمس مائة" أو يصفه بحادث:" ذكر حركة أمير المؤمنين"[1]

و/ المصداقية والموضوعية في الخطاب التاريخي:

- ابن الكردبوس، منحى المؤرخ ومقتضيات الكتابة:

أشار ابن الكردبوس في بداية كتابه مقتضيات ودواعي تأليفه [2]:" فهذا كتاب مبارك أثبت فيه ذكر النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم...وأتلوه بذكر الصحابة الكرام الخلفاء... وأتبعهم بذكر من ولي أمر المسلمين من الخلفاء الأمويين والعباسيين... وأصل بذكر بني أمية بعض أخبار الأندلس وولاتها بسبب من دخلها منهم، وتملك بجهاتها، ومن ولي المغرب، وأحيا السنة فيه بعد إحالتها، كل ذلك على طريق التقريب على قارئه لاختصار الناظر فيه".

يرى محقق الكتاب [3] أن ابن الكردبوس كان من ضمن جملة المؤرخين الذين وقعوا في انخداع بأفكار ابن تومرت، مما جعله يتبنى أفكاره في دعايته ضد المرابطين، بوصفهم بالتجسيم وبالفساد والانحياز عن الدين في آخر أيامهم وظهور المنكر وأضلوا السبيل [4].

هذا الرأي يدعمه الباحث عبد المجيد النجار[5] بقوله: أن ابن الكردبوس كتب بنوع من التزلف، بل ذهب -النجار- إلى أن المؤلف لم يكتب إلا بإيعاز وبإيحاء من الموحدين أنفسهم، ولعل من يتصفح الكتاب يقف على مدى موافقة هذا الرأي فهو لم يألو على وصف ابن تومرت -بالإمام المهدي المعصوم-، بل والأكثر من ذلك، فهو لا يعدوا عن كونه عناية إلهية وهبه الله لإصلاح الدين بعد فساده، فكان ظهوره -المهدي- بعد أن أضل المرابطين السبيل وملأت الأرض جورا :" وصاروا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا جاء الله

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق ، ص370، 149.

([2])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج1، ص125-126.

([3])- نفسه، ج1، مقدمة التحقيق، ص28.

([4])- نفسه، ج2، ص1314-1317.

([5])- المهدي ابن تومرت، جامعة الأزهر، 1982م، ط1، ص59.

بالإمام المهدي رحمه الله. فأوضح من الدين معالمه. وجدد منه مراسمه، وأظهر آياته، وأشهد بيناته، حتى عاد كما كان جديدا، دون عدد ولا كثر مدد، بل قام فيه محتسبا وحيدا"[1]، قام فيه محتسبا يركض في نحى الحق واليقين، ويجري على سنن الصحابة والتابعين ويأمر بالمعروف الناس أجمعين، وينهى عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يخشى صولة قاعد ولا قائم حتى أعاد الله كلمته على رغم المجسمين.

وسار على نهجه من بعده خليفته عبد المؤمن وبنيه، فدانت لهم البلاد بعد أن كادت تكون فتات خبز ورَعِيَّتُها كالأيتام في مائدة اللئام -الكفار دمرهم الله-، فساروا على نهج السنة بالجهاد ضد الصليبيين فأوضحوا من الدين منهاجه، وأقاموا منه اعوجاجه:" وأصبح به الشمل ملتئما" [2]، وأقام بالحق أكمل قيام [3]، وأحكمه أحسن احكام، فكانت له الفتوحات الظاهرة، والآيات الباهرة. دوخ بلاد الشرك وخرب قصورها، واستباح معاقلها، وأظلم دَيْجُورَها، وبدل صوت النَّواقيس فيه بالأذان، وأزال القول بالتثليث عنها وما سواها من عبادة الأوثان بإخلاص الكلمة لله الواحد الرحمان. فكانت فتوحاتهم:" أعظم من أن تحصى أو تحصر في كتاب بل يضيق عنها كل خطاب" [4].

هذا جل ما حدث عنه ابن الكردبوس عن بطولات الموحدين.

عاش ابن الكردبوس بإفريقية وبالتحديد ببلاد الجريد -كما أشرنا إليه سابقا- وفي عهده كانت بلاده تشهد نوعًا من الثورات لعل أبرز من تصدرها ملوك بنو غانية [5]، كان نتيجتها توتر الوضع السياسي المستقر لدولة الموحدين. لذا ما يمكن أن نطرحه: هل كانت دولة الموحدين بحاجة إلى من يؤسس لمشروعية الحكم في المنطقة؟

وباعتبار أن ابن الكردبوس كان أحد أعلامها الأفذاذ، فإنه كان مناسبا لذلك.

([1])- ابن الكردبوس؛ المصدر السابق، تح: صالح ابن عبد الله الغامدي، ج2، ص1314-1317.

([2])- هنا يتحدث عن أبو يعقوب ابن عبد المؤمن. نفسه، ج2، ص1319.

([3])- هنا المقصود به أبو يوسف ابن أبي يعقوب ابن عبد المؤمن. نفسه، ج2، ص1319.

([4])- ابن الكردبوس؛ المصدر نفسه، ج2، ص1314-1322.

([5])- ابن خلدون؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6، ص328، 333.

غير أن ما يعكر صفوة هذا الرأي أن ابن الكردبوس قد أمضى كثير من حياته في المشرق لطلب العلم وبالإسكندرية تحديدا [1]، أي أنه كان بعيدا عن سلطة الموحدين.

أما الرأي القائم على أن ابن تومرت كان قد أثر على ابن الكردبوس، مما جعله يكتب عن الموحدين بنوع من التزلف والتفخيم في بطولاتهم، فهذا أمر مستبعد نسبيا إلى حد ما، فابن تومرت كان آخر عهد له سنة (524هـ)، وعبد المؤمن لم يُفوِّت العقد السادس من القرن ال6هـ.

أضف إلى ذلك أن تاريخ أو مكان تأليفه لم يحدد، فلا نعرف أكان ذلك في مصر أم بإفريقية، ولعل نصوصه عن المهدي وعبد المؤمن قد أخذها من نصوص المؤرخين الموحدين، فكان تأثيرهم واضحا على كتاباته كالبيدق (ت/555هـ)، وابن صاحب الصلاة (ت595هـ)، الذي كان مواكبا ومعاصرا له.

أما عن بطولاتهم فعلينا أن نتساءل: كيف كان تصويره لأعمال المرابطين؟

فنجيب أنه لم يتوان عن وصف أعمالهم بالفتوحات البطولية.

كما أن كتاب الاكتفاء لا يعدو عن كونه تاريخ عن الملوك والخلفاء ابتدأه من سيرة النبي، ولم يوفر للتاريخ الموحدي، سوى بضع وَرَقَات بصياغات مختصرة لا تنم عن ال10 صفحات من مجمل أكثر من 1500 صفحة. أي أن ابن الكردبوس كان يكتب بنوع من التحرر من الفروض وبعيدا من التقيد لسلطة معينة.

نحن ننطلق من فكرة أن نص ابن الكردبوس نص قديم الطراز في إبراز البطولات فهو ظهر كمؤرخ ناقل للنصوص بعمل وأدوات أهل الحديث، بدلا عن كونه مشرعا سياسا يشرعن في نصوصه مشروع دولة.

([1])- ابن عبد الملك المراكشي؛ المصدر السابق، مج3، مقدمة التحقيق، ص61.

إنفرد" **ابن الكردبوس**" حقيقة إلى المحدثين كما أضفى على أخباره طلاوة وتشويقا بذكر الكثير من النوادر والملح والطرافة في الأخبار التي -وعلى الرغم من عدم ثبوتها- أفرد لها حيزا عريضا في كتابه، كما سجل الكثير من الحوارات الضافية ذات الدلالة على شغفه بالجانب الحكائي والقصصي وهذا يساعد على بلوغ توجهه التاريخي ورؤيته كعلم يوجب الاعتبار منه والاستفادة من اخباره ونوادره وأحداثه، فضلا عن استشهاده بالشعر بدرجة ملحوظة.

وقصارى القول ان ابن الكردبوس مؤرخ أخبار بالدرجة الأولى فهو يجمع بين الرواية والدراية لكنها دراية تكمن فقط في ابراز الروايات وبالذكر دون النقد ليس إلا، أم تحكمت فيها منازع أخرى لم تنفك عن مأثور الرواية وقداسة السند. تعاطى ابن الكردبوس مع التاريخ بمنطق المحدثين، من المؤكد انه اتبع مناهجهم من حيث التزامه بالإسناد ففي تأريخه لكل حدث كان يسبقه بذكر مصدره، فهو لم يفسح لملكة النظر لديه أن تساءل الروايات المسندة، وبالتالي كانت ملكة النقد غائبة في كتاباته، إنما تعاهد نقلها على علاتها، كما نميت إليه.

ولعل" **ابن خلدون**" قد قصد مؤرخين كثر من بينهم ابن الكردبوس يشمله في معانيه وفي طياته، في انتقاده إلى مثل هذه الروايات الضعيفة:" وزخارف من الروايات المضعَّفة لفَّقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها"[1] دون أن يستوعبوا مسببات تلكم الوقائع وغايات تلك الأخبار،" فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل والتقليد عريق في الآدميين وَسَلِيل"[2]. ذلك ان التاريخ بحاجة إلى "حسن نظر وتثبت" يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن كثير المزلَّات وفداحة المغالط وإذا وقفنا على عكس ذلك من مجرد نقل للأخبار:" ولم تحكم قواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني"[3]، فلربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيدة عن جادة الصدق.

([1])- المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 200I م، طI، ص6.

([2])- نفسه، ص6.

([3])- نفسه، صI3.

- المصداقية والموضوعية في الخطاب التاريخي في نص ابن صاحب الصلاة:

- ابن صاحب الصلاة في تراث المدونات الأجنبية والاستشراقية

القراءة الاستشراقية بدورها أدلت بدلوها في هذا السياق، فنجد جل المؤرخين المسيحيين يجمعون على أن أقدم وصف لمدينة قرمونة (Carmona) هو الذي يورده ابن صاحب الصلاة في كاتبه" المن بالإمامة" [1].

لذا فلا غرو أن " المن بالإمامة" كان يمثل نصا تأسيسيا لكثير من المؤرخين.

- ابن صاحب الصلاة كنص تأسيسي عند" بافون مالدونادو" (Maldonado).

أشار المستشرق ومؤرخ الفن الاسباني" باسيليو بافون مالدونادو (Basilio Pavón Maldonado) (1931م) إلى الأهمية التي يكتسيها نص" المن بالإمامة"، باعتباره مصدر أولي، والأهم من ذلك كله أن يمثل نص" المن بالإمامة" لابن صاحب الصلاة نصا تأسيسيا لتأريخيه لحروب" جيرالده" أو" جرانده العلج الطاغي" ضد دولة الموحدين. كونه كان مؤرخا معاصرا مما خول له أن يرصد أساليبه ويؤرخ لحروبه.

جرانده العلج الطاغي الجليقي اللعين الأقرع حفيد ألبرهانس (Geraldo Sem Pavorel Gallego) يعرف في الروايات الشعبية البرتغالية والإسبانية باسم: (Gerado the Fearless) بمعنى الباسل أو المقاتل-، قائد الجيوش ثم وزير وحفيد ألبارهانس. في فترة من الفترات في القرن 12م مثل في التراث الاسباني والبرتغالي أحد أبطال الاسترداد المسيحي (The Reconquista). ذكره ابن صاحب الصلاة في السفر الثالث وأرخ له بقوله:" ويتلوه في الثالث بحول الله سنة 569هـ خبر وصول العلج الطاغي" [2].

---

(1)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص415.

(2)- نفسه، ص437.

كما استثمر نص ابن صاحب الصلاة في تاريخية المنشآت العمرانية عهد الموحدين، مثل" المسجد الجامع في تاريخ ابن صاحب الصلاة" [1]، و" لاخيرالدا -المئذنة- من خلال تاريخ ابن صاحب الصلاة" تاريخ المن بالإمامة" [2].

- نص ابن صاحب الصلاة عند " ليندا جونيس (Linda G. Jones) دراسة تحليلية بنيوية في الخطاب التاريخي:

المرافق المسيحي: خطابات المجاز في سرد الصراع بين المسلمين في عهد الموحدين[3]:

الخطابة والخطب كان لها مكان ثابت في الطقوس الدينية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية القروسطية وكآلية لفرض السلطة أو نقضها، وإثبات المعتقد الديني والسياسي، وكمشروع لطبع القيم الأخلاقية كجزء من المجتمع الإسلامي.

ترى (Linda G. Jones) [4] باحثة التاريخ الثقافي للأديان في العصور الوسطى عبر منطقة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، والمهتمة بدراسة تقليد الخطابة في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، أن ابن صاحب الصلاة في خطاباته الاستراتيجية عمل على بناء المعارضات الثنائية المتناقضة -شرعية الموحدين مع عدم شرعية أعدائهم-[5] استطاع من خلاله أن يمثل أخلص صورة التي تمثل الصراع [6]، أو بتعبير فوكو" عنف

([1])- BASILIO PAVON MALDONADO, TRATADO DE ARQUITECTURA HISPANO-MUSULMANA (MEZQUITAS), CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTIFICAS, MADRID, 2009, IV, P 550-559.

([2])- BASILIO PAVON MALDONADO, Opcit, P 592.

([3])- "THE CHRISTIAN COMPANION": A RHETORICAL TROPEIN THE NARRATION OF INTRA-MUSLIM CONFLICT DURING THE ALMOHAD EPOCH.

([4])- بجامعة (Universitat Pompeu Fabra) برشلونة- إسبانيا، من أبرز أعمالها:

- Linda G. Jones, The Power of Oratory in the Medieval Muslim World, Cambridge University Press, New York, 2012.

- Linda G. Jones, The Preaching of the Almohads: Loyalty and Resistance across the Strait of Gibraltar.

([5])- Linda G. Jones, Opcit, P 793.

([6])- Linda G. Jones, Ibid, P 793.

التمثيل" [1]، ذلك أنه يعمل على بناء التمثيلات التأكيدية في إطار شرعية الموحدين باعتبارهم المدافع الحقيقي عن الدين [2].

النص اعتبر مثال لفهم العلاقات بين اللغة والتمثيل والعنف [3] يمكن رؤيته في استراتيجيات الخطاب الشرعي والمجاز البلاغي من خلال توظيف الخطاب الديني واستثمار الماضي المقدس -القرآن-الحديث-السيرة النبوية-وتاريخ الخلفاء ومن التقاليد الشعرية والملحمية- [4].

كما يمكن ملاحظة ذلك في الاستراتيجيات التي وظفها ابن صاحب الصلاة حين استعمل قيم الموحدين الخلقية " الشيم"،" العدل"،" التقوى"،" الاستقامة" [5]، في المقابل من ذلك أخلاقيات المعارضة الثائرة السلبية" النفاق" [6]، أو" المحاربين المنافقين" في" سورة المنافقون" أو" الكفار" في "سورة الكافرون"،[7]" انحراف المعتقد"،" فساد الدين" [8].

كل هذا تم توظيفه ابن صاحب الصلاة من أجل شرعنة الحكم للسلطة في مقابل بطلان شرعية المعارضة الخارجة عن قطيع الخلافة.

وأهميته الخاصة هنا هو العظمة النصية والاستراتيجية التي كان يعمل بها واصفا القياديين الأساسيين وفي تمثيل أعمالهم والدوافع التي تقف وراءها وهو يتبع في هذا من بداية العنوان إلى آخر الكتاب فهو يجعل الموحدين حكمهم حكم إلهي وبالتالي فإن جميع الخارجين عن السلطة يمثلون ارتدادا عن الدين وخروج عن الطاعة والمروق والزندقة [9].

---

(1)- Linda G. Jones, Ibid, P 793.

(2)- Linda G. Jones, Ibid, P 793.

(3)- Linda G. Jones, Ibid, P 797.

(4)- Linda G. Jones, Ibid, P 797-798.

(5)- Linda G. Jones, Ibid, P 797.

(6)- Linda G. Jones, Ibid, P797.

(7)- David Thomas, Opcit, P 178.

(8)- Linda G. Jones, Ibid, P797.

(9)- Linda G. Jones, Ibid, P 802-810.

- التاريخ بتفضيله النبل عن الوحشية:

ولما كان التاريخ يفضل النبل عن الوحشية فإن منطق المعارضة الثنائي يصبح أكثر وضوحا عندما يسرد لنا المؤرخ الصراع بين الموحدين الذين -أرشدهم وأعانهم الله- بـ:" الورع"،" التقوى"،" النبل" ضد خصومهم المارقين الخارجين عن الدين -أعداء الله الكفار دمرهم وأبادهم الله-وبالتالي فهذا ليس مجرد وصف لمعركة بل هو يتعدى ذلك بكونها ملحمة كان فيها الحكم الإلهي حاضرا ضد صراعه مع الشيطان وأتباع الخارجين عن الدين[1].

- عنف التمثيل وثنائية الصراع في نص ابن صاحب الصلاة:

اعتبر تمثيل الصراع ابن صاحب الصلاة هو في حد ذاته خطاب عنفي فهو عمل على تهميش خصوم الموحدين [2]، و" المن بالإمامة" أعتبر نموذج لتمثيل الصراع الثنائي، نحن -أي الموحدين- ضد هم -خصوم الموحدين-، شرعية الخلفاء في مقابل لا شرعية خصومهم، مركز السلطة في مقابل التابعين، أمير المؤمنين رضي الله عنه في سراط مستقيم ضد الفاسق الخائن في ضلال مبين [3].

- المعتقد الديني والمذهبي عند ابن صاحب الصلاة:

لعل أهم ما يمكن أن نتساءل عليه هو" الرؤية" التي أرخ بها ابن صاحب الصلاة لثورة المريدين، أو بعبارة أخرى هل تغيرت نظرة المؤرخ للسلطة والخارجين عنها قبل تأليفه للكتاب الثاني" المن بالإمامة"، أو قبل احتوائه في بلاط الخلافة؟

بصراحة -وما يؤرقنا فعلا- هو التصريح الذي ألقاه الباحث (David Thomas)[4] بقوله: أن ابن صاحب الصلاة كان مترددا في بداية أمره لطلب الخليفة للظفر بخدماته عام (557هـ/1162م).

---

(1)- Linda G. Jones, Opcit, P 811.

(2)- Linda G. Jones, Ibid, P 796-797.

(3)- Linda G. Jones, Ibid, P 825-827.

(4)- David Thomas, Opcit, P 176.

فهل كانت رؤيته للأطراف المتصارعة مختلفة، مما جعله ذلك يؤرخ للمغلوبين؟

يشير ابن صاحب الصلاة في عبارة صريحة عن محتوى كتابه ومقتضياته بقوله:" لم أعرض لذكر أخبار ابن مردنيش في هذا التاريخ ولا لذكر الثوار الأندلسيين، إذ قد شرحت ذلك في التأليف المسمى بتأليف" ثورة المريدين"، فأغنى عن ذكرهم في هذا التاريخ -المن بالإمامة- وإنما أرخت لغلبة الأمر عليه" [1].

كان المؤلف على اعتقاد واقتناع راسخ بشرعية المشروع الموحدين، هذا الرأي وافقتنا فيه الباحثة (Linda G. Jones) [2]، فالمؤرخ استهلك كثير من عبارات التزلف والتملق للخلافة الموحدية كقوله:" السيد الأجل أعانه الله" [3]، أو يأتي بوصف قرارات الخلفاء بقوله:" والأمر العزيز " [4]، أما حروبهم فكان يزكيها بقوله:" الحركة المنصورة" [5]، وهو يعترف بقراءته لعقيدة التوحيد[6] بقوله:" قراءة عقيدة التوحيد، والعقيدة المباركة المسماة بالطهارة، وكتاب أعز ما يطلب" [7].

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص321-322.

([2]) - Linda G. Jones, "THE CHRISTIAN COMPANION": A RHETORICAL TROPE IN THE NARRATION OF INTRA-MUSLIM CONFLICT DURING THE ALMOHAD EPOCH, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Anuario de Estudios Medievales; Vol 38, No 2 (Year 2008). P 801-802.

([3])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص93، 113، 86، 67، 94.

([4])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص111.

([5])- نفسه، ص113.

([6]) - William Al-Sharif, The Dearest Quest A Biography of Ibn Tumart, Jerusalem Academic Publications, Scotland, 2010, P 138, Linda G. Jones, Opcit, P 801-802.

([7])- عقيدة التوحيد لابن تومرت؛ أو" المرشدة" وهي باللسان العربي، وهناك عقيدة أخرى له باللسان الغربي.

- العقيدة المباركة؛ أو المسماة بـ:" الطهارة"، مجموعة أحاديث ضمنها المهدي في كتابه" الطهارة".

- كتاب" أعز ما يطلب"؛ تبتدئ أول رسالة منه بقول المهدي:" أعز ما يطلب وأفضل ما يكتب، وأنفس ما يدخر العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير..."، لذلك سمي بهذا الاسم.

(ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص161-162).

- ابن صاحب الصلاة من خلال كتابه" تاريخ امن بالإمامة"

السفر الثاني: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين "

- دواعي التسمية

لفظ - اَلْمَنْ- قولٌ يحيلنا -ومما لا شك فيه- إلى التلميح الصريح إلى الآية الشريفة: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [1] سورة القصص [5].

ومعنى الكلام أي فحواه ومقصده ومضمونه. ومن الأوائل قولهم أعن الكتاب وأطنه أي عنونه واختمه، وقيل هي من حسن السياسة [2]، وأنشد يونس بقوله:

فطن الكتاب إذا أردت جوابه وأعن الكتاب لكي يسر ويكتما [3].

قلنا، قال الطبري في تفسيره؛ ومعنى الكلام: أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها، من بني إسرائيل، فِرَقًا يستضعِف طائفة منهم، فأراد الله أن يمن على الذين استضعفهم فرعون من بني إسرائيل ويجعلهم أئمة [4].

قال أهل التأويل: معنى أن نجعلهم أئمة أي ولاة وملوكا [5].

قال الله عز وجل في كتابه العزيز:﴿ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ

([1])- القرآن الكريم؛ سورة القصص، الآية [5].

([2])- ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، مادة (عنا)، ص101-107.

([3])- نفسه، ج15، مادة (عنا)، ص106.

([4])- محمد ابن جرير الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج19، ص517.

([5])- الطبري؛ المصدر السابق، ج19، ص517.

طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾[1] القصص [1-5].

وفحوى الكتاب وعنوانه أن جعلهم الله -الموحدين- الوارثين بعد أن كانوا مستضعفين على زمن الملثمين الذين علوا في الأرض، فمَنَّ الله عليهم بالمهدوية الحاملة للواء الإمامة، وللخلافة من بعدها.

وتسمية الكتاب بهذا الاسم ينم عن مدى إيمان صاحبه بمهدوية -إمامه المهدي-، وشرعية خليفته" عبد المؤمن" وأبنائه من بعده، في الإمامة والرياسة بأن -أَمَنَّهُمْ- الله على المستضعفين وأورثهم إياهم بعد أن استبدوا واستضعفوا.

إذا كان الكتاب الأول -**تاريخ المريدين**- قد ألف تأريخه ابن صاحب الصلاة للمغلوبين على أمرهم، فإن كتاب -**المن بالإمامة**- قد أعرض فيه ذكرهم وخصه بذكر غلبة الأمر عليهم:" لم أعرض لذكر أخبار ابن مردنيش في هذا، ولا لذكر الثوار الأندلسيين، إذ قد شرحت ذلك في التأليف المسمى بتأليف" ثورة المريدين" فأغنى عن ذكرهم في هذا التاريخ وإنما أرخت غلبة الأمر عليه" [2].

إنما خصه بالتأريخ للمنتصر:" واستوى سيدنا أمير المؤمنين على صهوة فرسه الميمون في جحفل جرَّار، كتائبه كالجبال إلا أنها سائرة! قد ملأ الملأ خيلا ورجلا، وطبَّق الفضاء وعرا وسها، تخفق راياته أسنته، وترعد طبوله، وتتوقد نصوله، وتتجاوب بالصهيل خيوله"[3].

- الموضوعية عند ابن صاحب الصلاة:

لعل من أبرز -الغلطات والتوهمات- التي وقع فيها محقق الكتاب قوله إن ابن صاحب الصلاة التزم الموضوعية في كتابه" المن بالإمامة"، ويورد لنا بعض الشواهد كتبرير لرأيه في مقدمتها أن المؤرخ لم يتناول الدول التي سبقت حكم الموحدين بشتائم أو نقائص [4].

([1])- القرآن الكريم؛ سورة القصص، الآية [1-5].

([2])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص321-322.

([3])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص405.

([4])- نفسه، ص20.

ونحن نرى خلاف ذلك، وهو ما يوافقنا فيه الباحث (David Thomas) [1] بقوله: أن موضوعية وحياد المؤرخ كانت غائبة أو على الأقل مشكوك فيها.

أما الباحثة (Linda G. Jones) فترى بأنه لا يمكننا أن نتوقع ابن صاحب الصلاة في تأريخه للصراع بين الموحدين وخصومهم كمراقب أو مؤرخ موضوعي محايد، فهو بدلا عن ذلك أنه يمثل الأحداث بغية تحقيق هدف سياسي يبرر به ويشرعن من خلاله بكون أسرة الموحدين شرعية في حكمها تمارس من خلاله حكما إلهيا [2]، ذلك كان واضحا من خلال عنوان الكتاب فغني عن القول أن مثل هذا العنوان" المن بالإمامة" يمكن أن يأتي إلا من واحد ذا اقتناعًا راسخًا بشرعية المشروع الموحدين، واستهلك منصب وزير الخزانة على عهد يوسف الI ويعترف بقراءة عقيدة التوحيد للإمام المهدي [3].

ذلك أن المؤلف في كتابه لم يتوانى بأن ينعت خصوم الموحدين أو الخارجين عن قطيع الخليفة بصفات لا تخرج عن القدحية أو نعوت ذات دلالة عقدية، فوصف المرابطون بالملثمين وهي لا تخرج عن معنى" الحُشّم" لثامهم كما تفعل النساء المحتشمات [4]، وهو:" نعت ذو دلالة دينية يمس الظاهر، ويوجب لهم اللعن -كما جاء في الأثر- إثر تشبههم بالنساء" [5]، أما الثوار الخارجين عن منطق سلطة الموحدين فلم يألو على وصفهم بـ:" المرتدين" أو" الغدر"،" الكفر" والدعاء لهم بالهلاك والفناء [6].

---

(1)- David Thomas, Opcit, P 178.

(2)- Linda G. Jones, Opcit, P 796.

(3)- Linda G. Jones, Ibid, P 801-802.

(4)- شمس الدين ابن خلكان؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ط1، ج7، ص129؛ اليافعي؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ط1، ج3، ص126-127.

(5)- سعدية معيزة، لبنى شريف؛ " الخطاب التاريخي بالغرب الإسلامي: في سياق التجاذبات بين سلطتي المنبر والبلاط -عصر الموحدين-"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م، ص15.

(6)- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص72، 119، 204.

أما الشاهدة الثانية التي اعتبرها كأبرز دليل على موضوعية المؤرخ -فيما يزعم- قوله:" أن ابن صاحب الصلاة كان يشعر بمقتضيات الموضوعية ولذلك فهو يعتذر" بقوله -أي المؤلف-:" وفي المثل" الحديث شجون" [1].

نعني بالشَّجَنُ: الغصن المشتبِك [2]، ويقال الحديث ذو شجون أي ذو فنون متشعبة تأخذ منه في طرف فلا تلبث حتى تكون في آخر. وفي التراث الإسلامي أن ضَبَّةُ بْنُ أُدٍّ وَكَانَ قد قتل أحد أبنائه فاستأثر لذلك وقال:" إِنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شُجُونٌ". فَلَامَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ:" سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذَلَ"، وَفِيهِ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ:

لَا تَأْمَنَنَّ الْحَرْبَ إِنَّ اسْتِعَارَهَا كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ الْحَدِيثُ شُجُونُ [3].

هذا المثل أتى بذكره ابن صاحب الصلاة في سياق حديثه عن أعمال الموحدين وبطولاتهم في البناء والعمران، وفي ذلك انساق في أعمال الأمويين من قبلهم -لعله دون أن يعي ذلك- فاستأنف كلامه بالمثل القائل:" وفي الحديث شجون"، كان استرساله بعدها الاستمرار في التفخيم بإنجازات الموحدين البطولية.

- خطاب الولاء في نص ابن صاحب الصلاة:

لم يتوانَ ابن صاحب الصلاة في تصويغه لذكر الخليفة وأعماله بإيحاءات لعل أكثر ما توحي إليه هي عبارات" لنص الولاء" ومنطق الخنوع والخضوع وعبارة الأبهة والوقار والإجلال، لدرجة أن وصفتها الباحثة (Linda G. Jones) بالروتينية والتكرار [4].

([1])- نفسه، ص388-389.

([2])- الفيروزآبادي؛ القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8، مادة (شجن)، ص1208؛ ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج1، ص137.

([3])- الدينوري؛ المجالسة وجواهر العلم، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ، ج2، ص367؛ ابن منظور؛ المصدر السابق، ج13، مادة (شجن)، ص232.

([4]) - Linda G. Jones, Opcit, P 801-812.

فلفظ " أمير المؤمنين -رضي الله عنه وعنهم-" و" السيد الأعلى الأجل"، "البطل الأمير الأجل" [1] توحي إلى فرض منطق الأبهة والوقار. و أمير المؤمنين -رضي الله عنه- " أعلى الله أمره الأمر العزيز" [2] و" أيده الله وأعانه الله" [3]

تنم عن مماثلة السلطان بأمر الإله.

فكانت" غزواته الحافلة المؤيدة والحركة المنصورة وفتوحاته التي تفتحت لها السماء"[4]، " فسبحان من أحياهم بعد ذلك من مماتهم وأعادهم بالنصر والعدل الإمامي إلى حياتهم"[5] و" هذا الفتح الإلهي والبشر بالنصر المتناهي ونصر الله تحقق" [6].

لا تُحِيل إلا لقداسة الملك وصورة خطاب التعالي بالسلطان.

ونقل عن الأثر أن" كليلة ودمنة" قال على لسان" ابن آوى" الملوك جديرون باختيار الأعوان، غير أنه لا يستطيع خدمة السلطان إلا اثنان: منافق متملق ينال مبتغاه بالحيلة والخديعة، والثاني مغفل لا يحسد عليه، وقلما ينجح العفيف الصادق في خدمة السلطان[7].

- الميثولوجيا في نص ابن صاحب الصلاة:

- تمثل الإله في صورة الملك السلطان:

تعد المشاكلة بين السلطان والإله مغامرة فكرية بعيدة عن الروح الإسلامية [8]، فلم

([1])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص65، 86، 113، 142، 151، 91، 93، 94، 114، 119، 120، 124، 233.

([2])- نفسه، ص191، 111، 197.

([3])- نفسه، ص94، 130.

([4])- نفسه، ص112، 113.

([5])- نفسه، ص139-140.

([6])- نفسه، ص298.

([7])- بيدبا؛ كليلة ودمنة، تر: ابن المقفع، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1937م، ص264-265.

([8])- كمال عبد اللطيف؛ في تشريح أصول الاستبداد، دار الطليعة بيروت، 1999م، ط1، ص153.

يتحرج الخطاب السلطاني في تعاليه تنزيل الصورة الإلهية وإسكانها قصر السلطان [1]، حتى ولو تعلق الأمر بلعبة المجاز وشطحات التعبير [2].

ففتوحاته وغزواته -رضي الله عنه- [3] " الحافلة المؤيدة ونصر الله تتحقق" [4]، ذلك ان ابن صاحب الصلاة بقوله:" فسبحان من أحياهم بعد ذلك من مماتهم وأعادهم بالنصر والعدل الإمامي إلى حياتهم"[5] و:" هذا الفتح الإلهي"[6] ما هو إلا تأصيل وتأسيس لبركة الرب للسلطان أو خليفته في أرضه.

لما كان النص التاريخي ما هو إلا مجموعة من الإيحاءات أو المعادلات التاريخية مكونها" المضمر" و"الظاهر"،" المبهم" و"المعلن"،" الغامض" و"المسكوت عنه"،" اللا معبر عنه" و" اللا مفكر فيه".

فهي لا تقول الحقيقة، ولكنها لا تكذب. ذلك كان لزاما وأساسا على المؤرخ أو الباحث في التاريخ بالكشف عن استراتيجيات السلطة التي تقف وراء هذا البناء التاريخي الذي يعج بالحقائق والأوهام، وتحديد مدى تأثيره عليها أو تأثره بها ذلك أن الاحداث لا تخرج عن نطاق حدوثها.

ههنا نلاحظ انقلاب الدور فبعد أن كانت الدولة يتيمة الفقيه أصبح كافلها مؤرخ السلطان فالفقيه باعتباره كافل الدولة ومؤرخ البلاط بامتثاله لرعاية السلطان كهاتين الاصبعين تحت بركة يد الملك إذ اشتغل كل منهما في فترات متقاربة -إلى حد ما- على تحميل المعاني الدينية وتصويغ المقدس بالدلالات السياسية في تصوير قدرة السلطان أو إعطاءه حق التدبير الإلهي.

([1])- فهيمة بوشيبي؛ وآخران، "المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي: بين نظر الفقيه وحاجة السلطان"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م، ص36.

([2])- كمال عبد اللطيف؛ المرجع السابق، ص153؛ فهيمة بوشيبي، وآخرون؛ المرجع السابق، ص36.

([3])- ابن صاحب الصلاة؛ المصدر السابق، ص112، 142، 151.

([4])- نفسه، ص112، 132.

([5])- نفسه، ص139-140.

([6])- نفسه، ص298.

خاتمة

لطالما كان المؤرخ الموحدي المغربي مثل:" **البيدق** (ت-555هـ)"، و" **ابن صاحب الصلاة** (توفي بعد 594هـ)" قريبًا من الحدث أو كان أكثر انشدادً للظّاهرة التاريخية إن لم يكن مشاركا فيها، وكثيرا ما نجد أن تطور" **الكتابة التاريخية**" مرتبطة بتطور الحدث التاريخي أو المجال ونعني به: كل من الواقعة، الحدث أو المكان، أو الحادثة، وأطراف الحدثة التاريخية، وأغلبها تصب في المفهوم الذي قصده" **ابن خلدون**" بصيغة" المجال".

كان اعتماد المؤرخين المغاربة في كتاباتهم التاريخية على مدونات الأندلسيين في بداية الأمر، لنرى بعد قيام الدولة الموحدية زوال هذا الاعتماد فيظهر النص المغربي كنص تأسيسي يعتمد على المشاهدة بالقرب من الحادثة، و" **التاريخ الشفاهي**".

ولقد أثرت **مركزية الدولة** على تغيير مسار المؤرخ أو وجهته من التأريخ للماضي إلى التأريخ للأحداث الفورية، فاتجه نحو تأسيس ما يسمى بـ:" **الخطاب التاريخي**"، واعتبر من دون شك كنص تأسيسي اعتمده جل المؤرخين اللاحقين، فكان ذلك يعني بداية تشكل مدرسة مغربية مثّلها" **البيدق**"، و" **ابن صاحب الصلاة**"، و" **عبد الواحد المراكشي**"، و" **ابن القطان**"، و" **ابن حماد الصنهاجي**" وغيرهم.

ههنا نلاحظ انقلاب الدور فبعد أن كانت الدولة يتيمة الفقيه أصبح كافلها مؤرخ السلطان، فالفقيه باعتباره كافل الدولة ومؤرخ البلاط بامتثاله لرعاية السلطان كهاتين الاصبعين تحت بركة يد الملك إذ اشتغل كل منهما في فترات متقاربة -إلى حد ما- على تحميل المعاني الدينية وتصويغ المقدس بالدلالات السياسية في تصوير قدرة السلطان أو إعطاءه حق التدبير الإلهي.

لقد مثّل قلم المؤرخ المغربي القريب من البلاط أحد منابر إضفاء الشرعية وتبرير سلوكات السلطة الحاكمة، فكانت مصنفاتهم أقرب إلى مصنفات" مرايا الملوك" و"الآداب السلطانية"، فأصحابنا صناع محترفون في رسم رغبات الحاكم وأوامره.

لطالما مثّلت الكتابة التاريخية المجال الذي تساق فيه التعابير لتكريس صورة معينة للسلطان، فيتم تصويره على أنه أعجوبة، ذلك أدى إلى اعتبار التاريخ المرجعية السند في مراجعة صورة الوضع الملكي في مظاهره المختلفة، فهو إنما يركب ويعرض ممتزجا بمطلب تلميع الصورة ووضعها في قالب معين، فإذا كان السيف يرمز للجانب القهري من الملك فإن قلم المؤرخ المقرّب من السلطان مثّل أحد منابر شرعنة هذا القهر لِما كان يتقلده من دور إضفاء الشرعية لتبرير سلطة الملك، ولما كان التاج ما هو إلا رمزا للحكم والإدارة والتي تحفل بشأنها عن مصنفات" مرايا الأمراء والآداب السلطانية".

عملت كثير من المؤلّفات على تكريس حضورها وبرسمها أبلغ التعابير الخطابية وأبرعها، ذلكم باعتبارها تمثل جزءا من **أجزاء الدولة ومفاتيح الأبّهة والوَقار**، وهي الصورة التي ما برح مؤرخونا يكرّسون حضورها بنوع من التلميع، فأصحابنا صناع محترفون ، قدّموا معرفتهم العلمية والسياسية أو تقاليد الحكم السلطاني في سبيل نجاعته على طبق من ذهب.

فلطالما مثّلت الكتابة التاريخية المجال الذي تُساق فيه التعابير لتكريس صورة معينة للسلطان، فكانت المرجعية السند في مقاربة صورة الوضع الملكي في مظاهره المختلفة فهو إنما يركب ويعرض ممتزجا بمطلب تلميع الصورة ووضعها في قالب معين.

لعله ما يمكن تسجيله للوهلة الأولى- هو الاختلاف الظاهر بين منحى المنجز التاريخي في تراث كل من " **عبد الملك ابن الكردبوس (توفي بعد 595هـ)** " و" **عبد الملك ابن صاحب الصلاة (توفي بعد 594هـ)** "، من حيث: الحضور، التدوين والتوثيق، المصداقية، والمنهج والأسوب، والمنحى، والخطاب والتوجه.

وفي اعتقادنا أن ذلك لا يحول دون دراسة مقارنة في موضوع" **الكتابة التاريخية**" في فكر "**عبد الملك ابن الكردبوس**" في تاريخه" **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**"، و "**عبد الملك ابن صاحب الصلاة**" في مصنفه" **تاريخ المن بالإمامة**"،

من منطلق تساؤلات ما فتئت تفرض نفسها في عصر شكلت فيه" الكتابة التاريخية" **منحى السلطان، التاريخ، حاجة الملك، ميولات الكاتب، المؤرخ، خطاب، الإيديولوجية، السلطة؛ ونظر الفقيه، وغاية المؤرخ.**

الورّاقيــة

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس؛ إنجيل يوحنا.

أولا: المحررات باللغة العربية:

1- المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد (ت- 658هـ/ 1260م)، الحلّة السِّيَراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2.

، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ط1.

، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م.

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي (ت- 630هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ط1.

- ابن إسحاق، أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار المدني (ت- 151هـ/ 768م)، سيرة ابن إسحاق، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، المغرب، 1976م.

- بيدبا، فيشو شارما، كليلة ودمنة ترجمة: ابن المقفع، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1937م.

- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت- 555هـ/ 1160م)، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح: عبد الوهاب ابن منصور دار المنصور، الرباط، 1971م.

، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب ابن منصور دار المنصور، الرباط، 1971م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت- 458هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط1.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف ابن عبد الملك (ت- 578هـ/ 1183م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2010، ط1.

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت- 462هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ط1.

- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد (ت- 1698م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ط1.

- الدينوري، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري أبو بكر القاضي المالكي (ت- 333هـ)، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري (ت- 213- 218هـ)، السيرة النبوية، تخريج: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، ط3.

- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت- 914هـ/ 1509م)، وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، نوابغ الفكر.

- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، صِلَة الصِّلَة، تحقيق: أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ط1.

- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت- 627هـ/ 1229م)، التشوف إلى رجال التصوف تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م، ط2.

- ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن محمد (ت- 726هـ/ 1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت- 852هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، 1986م.

، تقريب التهذيب، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، 1421هـ.

، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

- ابن حماد الصنهاجي، محمد بن علي (ت-638هـ/ 1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ.

- الطبري، محمد بن جرير (ت- 310هـ/ 923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م.

، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م.

- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت- 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ط1.

- ابن الكردبوس، عبد الملك (توفي بعد 595هـ/ 1198م)، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح ابن عبد الله الغامدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2008م، ط1.

، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م، ط1.

- محمد ابن القاضي عياض، أبو عبد الله (ت- 575هـ)، التعريف بالقاضي عياض؛ تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية.

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (ت- 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت- 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ط1.

- المقري، أبو العباس أحمد (ت- 1041هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، لجنة نش التراث الإسلامي، المملكة المغربية.

، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- المراكشي، محمد ابن عبد الملك (ت- 703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1.

، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: السفر الخامس، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ط1.

- المراكشي، عبد الواحد (ت- 621هـ/ 1224م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963م.

- ابن مخلوف، محمد بن عمر (ت- 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تخريج: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م، ط1.

- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكّار، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ط1.

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت- 685هـ/ 1286م)، المُغْرِب في حلى المَغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4.

، رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1987م، ط1.

- السخاوي، شمس الدين (ت- 902هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ط1.

- ابن عبد البُر، أبو يوسف بن عبد الله القرطبي (ت- 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت، 2006م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت- 368هـ/ 978م)، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ط1.

- ابن عطية، عبد الحق بن أبي بكر (ت- 542هـ)، فهرس ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط2.

، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم.

- النابلسي، إسماعيل بن عبد الغني (ت-1143هـ)، تعطير الأنام في تفسير الأحلام.

- علي النُّباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله (713هـ)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، 1983م، ط5.

- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت- 544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1.

- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت- 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1986م، ط1.

- ابن عسكر، أبو عبد الله محمد بن علي (ت- 636هـ/ 1238م)، أعلام مالقة، تخريج: عبد الله المرابطي الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ط1.

- الفيروزآبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب (ت- 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت- 799هـ/ 1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون ابن محي الدين الجنَّان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ط1.

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك أبو مروان (توفي بعد 594هـ/ 1198م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- ابن القطان، حسن بن علي (ت- 650هـ/ 1252م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1.

- ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن(740هـ)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ط4.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله (ت- 270هـ/ 889م)، الإمامة والسياسة، تحقيق: محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، مصر، 1904م.

- ابن الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت- 666هـ/ 930م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

- التنبكتي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر (ت- 1036هـ/ 1627م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 2000م.

- ابن تغرى بردى، أبو المحاسن جمال الدين (ت- 874 هـ / 1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ط1.

- الثعالبي، أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت- 876هـ/ 1471م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ط1.

- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت- 766هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ط1.

- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت- 808هـ/1406م)، المقدمة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ط1.

، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 2000م.

- خليفة ابن خياط، أبو عمرو (ت- 240هـ)، تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، 1985م، ط2.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت- 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ط1.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت- 748هـ/ 1348م)، المستملح من كتاب التكملة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ط1.

، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، تح: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء.

، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ط1.

، تذكرة الحفاظ.

- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت- 599هـ/ 1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ط1.

- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت- 714هـ/ 1315م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ط2.

2- المراجع:

1- الكتب:

- أمين، أحمد، ظهر الإسلام، هنداوي، القاهرة، 2013م.
- أعراب، سعيد، مع القاضي أبي بكر ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط1.
- إبراهيم مصطفي، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مصر، 2004م، ط4.
- إسماعيل، محمود، الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2001م.
، سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الازدهار 4، سيناء للنشر، القاهرة، 2000م، ط1.
، سوسيولوجيا الفكر التاريخي: طور الانهيار 4، دار مصر المحروسة، مصر، 2005م، ط1.
- بوباية، عبد القادر، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2014م.
- بولطيف، لخضر محمد، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015م.
- بونابي، الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ط1.
- الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م، ط5.
- الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، 1983 م.

، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.

- زناتي، أنور محمود، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، زهران للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011م، ط1.

- الزركلي، خير الدين ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7، ج8.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ط2.

- كوثراني، وجيه، تاريخ التأريخ: اتجاهات- مدارس- مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013م.

- محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ط1.

- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت،1979 م.

، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط3.

- النجار، عبد المجيد، المهدي ابن تومرت، جامعة الأزهر، 1982م، ط1.

- السملالي، عباس بن محمد بن إبراهيم بن الحسن (1378هـ)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ط2.

- عارف، نصر محمد، في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1994م.

- العامري، محمد بشير، مظاهر الإبداع الحضاري، في التاريخ الأندلسي، دار غيداء، الأردن، 2012، ط1.

- عبد اللطيف، كمال، في تشريح أصول الاستبداد: قراءة في نظام الآداب السلطانية، دار الطليعة، بيروت، 1999م، ط1.

- عبد العزيز سالم، السيد، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت،1981 م.

- عبيدة محمد، من أجل تاريخ إشكالي: ترجمات مختارة، جامعة ابن طفيل، 2004م، ط1.

- العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م، ط4.

- القاسمي، هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الرباط، 1995.

- الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ط6.

- خليفة، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م.

- ضريف، محمد، تاريخ الفكر السياسي بالمغرب: مشروع قراءة تأسيسية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1984م، ط2.

2- الرسائل والملتقيات والمقالات:

- بولطيف، لخضر محمد؛ " ملامح المنظومة القيمية للمجتمع القلعي الحمادي: منطلقات الفكر وأنماط السلوك"، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس، المنعقد بالجزائر بتاريخ: 9-10-11 أفريل 2007م، مراجعة وتنسيق؛ لخضر بولطيف، الجزائر، 2007م.

- بوشيبي، فهيمة، بطوش بسمة، براح الخامسة، "المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي: بين نظر الفقيه وحاجة السلطان"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م.

- الرفاعي، عبد الجبار، " الشيخ أمين الخولي رائداً للدرس الهِرْمِنيوطيقي بالعربية"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد 63 . 64، صيف وخريف 2015، نقلا عن؛" **مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث**".

- معيزة، سعدية، شريف، لبنى، " الخطاب التاريخي بالغرب الإسلامي: في سياق التجاذبات بين سلطتي المنبر والبلاط -عصر الموحدين-"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015م.

- قلي، نسمة،" التأليف في الصلات والتكملات بالغرب الإسلامي -مقاربة منهجية-"، مذكرة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2013م.

ثانيا: المحررات باللغة الأجنبية:

I- المعربة:

- بروكلمان، كارل ، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ط5.

- بالنثيا، أنخيل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.

- لوغوف، جاك، التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007م، ط1، ص13، 141.

- روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ط2.

2- المصادر باللغة الأجنبية:

- الإسبانية:

- Ibn Umaira AL-Dhabbi, Bughyat Al Multamis fi Tarikh Rijal Ahl Al-Andalus, Edited By: Codera and J. Ribera, BIBLIOTHECA ARABICO-HISPANA.

- الفرنسية:

- Abd El-Wahid Merrakechi, Histoire des Almohades, Traduite et Annotée par: E. Fagnan, ADOLPHE JOURDAN, Alger, 1893.

- الإنجليزية:

- Abdo-l-Wahid Al-Marrekosh, The History of the Almohades, edited by: R. P. A. Dozy, LEYDEN, LONDON, 1847.

3- مراجع في لغتها الأصلية:

- الإسبانية:

- BASILIO PAVON MALDONADO, TRATADO DE ARQUITECTURA HISPANO-MUSULMANA (MEZQUITAS), CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTIFICAS, MADRID, 2009, IV.

- الفرنسية:

- François FURET; Histoire et ethnologie, in L'atelier de l'histoir, Flammarion, Paris, éd. 1989.

- JOUTARD, Histoir orale, in Dictionnaire des sciences historiques, sous la direction de André Burguière, Paris, 1986.

- الإنجليزية:

- Allen J. Fromherz, THE ALMOHADS THE RISE OF AN ISLAMIC EMPIRE, TAURIS Publisher, London, 2012.

- Amar S. Baadja, Saladin, the Almohads and the Banu Ghaniya: The Contest for North Africa (12th and 13th centuries), Brill publication, Leiden, 2015.

- Angus Stevenson, Oxford Dictionay of English, OXFORD University Press, United Kingdom, 2010, Third Edition.

- Baker Khalid Lafta; " Ibn Bassām as a literary historian, a critic and a stylist: a study of al-Dhakhīra ", University of Glasgow, Scotland, UK (1986).

- David Thomas, Christian- Muslim Relations A Biographical History: Volum 4 (1200-1350), BRILL, LEIDEN, The Netherlands, 2012.

- Ernest E. Jenkins, THE MEDITERANEAN WORLD of ALFONSO II and PETER II of ARAGON: (1162- 1213), PALGRAVE MACMILLAN, United States of America, 2012, first published.

- Gholamali Haddad Adel, et. Al, HISTORY AND HISTORIOGRAPHY: An Entry from Encyclopaedia of World of Islam, British Library, Landon, 2012, first Publisher.

- Jim Bradbury, Medieval Warfare, Routledge, NEW YORK, 2014, first published.

- Linda G. Jones, The Power of Oratory in the Medieval Muslim World, Cambridge University Press, Printed in the United States of America, 2012, first published.

- Linda G. Jones, The Preaching of the Almohads: Loyalty and Resistance across the Strait of Gibraltar.

- Linda G. Jones, "THE CHRISTIAN COMPANION": A RHETORICAL TROPE IN THE NARRATION OF INTRA-MUSLIM CONFLICT DURING THE ALMOHAD EPOCH, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Anuario de Estudios Medievales; Vol 38, No 2 (Year 2008).

- OLIVIA REMIE CONSTABLE, Medieval Iberia: Readings from Christian, Muslim, and Jewish Sources, PENN, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, Printed in the United States America, 2012, 2nd ed.

- Salma Kadra Jayyusi, The Legacy of Muslim Spain, E.J. BRILL, LEIDEN, 1994, second Edition.

- William Al-Sharif, The Dearest Quest A Biography of Ibn Tumart, Jerusalem Academic Publications, Scotland, 2010.

فهرس المصنفات

- ابن الأبّار" الحلة السِّيراء": ص41، 54، 74.
" التكملة لكتاب الصِّلة": ص6، 41، 42، 47، 51، 54، 56، 59، 62، 66.
- أصبغ بن أبي العبّاس" الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام": ص40.
" أدباء مالقة": ص43.
- ابن الأثير" الكامل في التاريخ": ص95.
- ابن إسحاق" سيرة ابن إسحاق أو المبتدأ والمبعث والمغازي": ص76.
- بيدبا:" كليلة ودمنة": ص109.
- البيدق" أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحِّدين": ص5، 13، 21، 24، 27، 30، 33.
" المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب": ص5، 13، 14، 21، 24، 27، 33.
- البيهقي" الأسماء والصفات": ص79.
- ابن بشكوال" الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم": ص37، 43، 45، 48، 51، 78.
- البغدادي" تاريخ بغداد": ص78.
- ابن أبي دينار" المئنس في أخبار إفريقية وتونس": ص73.
- الدينوري" المجالسة وجواهر العلم": ص108.
- ابن هشام:" السيرة النبوية": ص76.
- الونشريسي" وفيات الونشريسي": ص26.
- ابن الزبير:" صِلَة الصِّلة": ص43، 48، 52.
" ردع الجاهل": ص12.
- ابن الزيات" التشوف إلى رجال التصوف": ص7، 11، 20، 25، 30.
- ابن أبي زرع الفاسي" الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس": ص69.

- ابن حجر العسقلاني" تقريب التهذيب": ص69.
" فتح الباري شرح صحيح البخاري": ص108.
- الحجاري" المسهب في غرائب المغرب": ص43.
- ابن حوقل" المسالك والممالك": ص43.
- ابن حزم" نقطة العروس في تواريخ الخلفاء": ص42.
- ابن حماد الصنهاجي" أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم": ص17، 23، 28.
- الحميدي" جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس": ص38، 58.
- الطبري" تاريخ الرسل والملوك": ص95.
" جامع البيان في تأويل القرآن": ص105.
- ابن طفيل" حي بن يقضان": ص23.
" رسالة في النفس": ص23.
- اليافعي" مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان": ص107.
- اليسع ابن عيسى" المغرب في محاسن المغرب": ص43.
- ابن الكردبوس" الإكتفاء في أخبار الخلفاء": ص15، 22، 27، 56، 62، 63، 66، 73.
" الأربعون حديثا": ص15، 62.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم" صحيح مسلم": ص39.
- المؤمن أبو القاسم" فضائل المهدي": ص24، 33.
- مالك بن وهب" قراضة الذهب في ذكر لئام العرب": ص22.
- محمد ابن القاضي عياض" التعريف بالقاضي عياض": ص29.
- الملاحي" تاريخ غرناطة": ص42.
- ابن منظور" لسان العرب": ص13، 85، 105.
- المسعودي" مروج الذهب ومعادن الجوهر": ص15، 77، 81.
- المقري" أزهار الرياض في أخبار عياض": ص10.
" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب": ص67.

- المراكشي ابن عبد الملك" الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة": ص6، 11، 12، 20، 26، 48، 56، 58، 59.
- المراكشي عبد الواحد" المعجب في تلخيص أخبار المغرب": ص16، 22، 28.
- ابن مخلوف" شجرة النور الزكية في طبقات المالكية": ص38.
- مجهول" الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية": ص69، 70.
- ابن سعيد" المُغرب في حلى المغرب": ص42، 47، 51.
" رايات المبرزين وغايات المميزين": ص52.
- السخاوي" الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ": ص12، 37.
- ابن عبد البُر" الاستيعاب في معرفة الأصحاب": ص11، 16، 78، 87.
- ابن عبد ربه" العقد الفريد": ص85.
- ابن عطية" فهرس ابن عطية": ص36، 37، 45، 53.
" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز": ص36، 49، 53.
ابن العربي" ترتيب الرحلة للترغيب في الملة": ص82.
- النابلسي" تعطير الأنام في تفسير الأحلام": ص13.
- علي النُّباهي" المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا": ص12.
- القاضي عياض" ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك": ص7، 10، 20، 25.
- ابن العماد" شذرات الذهب في أخبار من ذهب": ص37.
- ابن عسكر" أعلام مالقة": ص39، 40، 46، 50.
- الفيروزآبادي" القاموس المحيط": ص85، 108.
- ابن فرحون" الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب": ص36.
- ابن الفرضي" تاريخ علماء الأندلس": ص37، 45.
- ابن صاحب الصلاة" تاريخ المن بالإمامة": ص6، 14، 15، 21، 24، 27، 33، 58، 67، 68، 71، 74، 81، 100، 106.
" ثورة المريدين": ص21، 66، 67، 68، 74، 99.

- ابن القطان" نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان": ص6، 17، 24، 29، 32، 69.
- القيرواني الرقيق" تاريخ افريقية والمغرب": 42.
- ابن قنفذ" الوفيات": ص37.
- ابن قتيبة الدينوري" الإمامة والسياسة": ص16، 78.
- ابن الرازي" مختار الصحاح": ص85.
- التنبكتي" كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من الديباج": ص11.
- ابن تغرى بردى" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة": ص37.
- الثعالبي عبد الرحمان" الجواهر الحسان في تفسير القرآن": ص56، 73.
- الثعالبي" يتيمة الدهر": ص43.
- ابن الخطيب" الإحاطة في أخبار غرناطة": ص43، 52، 54، 67.
- ابن خلدون" المقدمة": ص5، 44، 49، 64، 77، 94.

" العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر": ص10، 29، 92.

- خليفة ابن خياط" تاريخ خليفة ابن خياط": ص79.
- ابن خلكان" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان": ص107.
- الذهبي" المستملح من كتاب التكملة": ص17، 39، 50.

" نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء": ص47.

" سير أعلام النبلاء": ص29، 37، 41، 51، 54، 68، 79، 81، 82.

" تذكرة الحفاظ": ص17، 18، 37، 43، 52، 54، 78، 80.

- الضبي" بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس": ص38، 46، 50، 53.
- الغبريني" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية": ص17.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة..... 7-2

I/ تمهيد: الكتابة التاريخية في العهد الموحدي من خلال منظور الدارسين العرب 13-8

الفصل الأول

منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ المغربي(العهد الموحدي)

أ/ التوثيق..... 24-15

ب/ بنية النَّص في كتابات المؤرخ المغربي..... 30-25

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية..... 35-31

د/ المصداقية والميولات المذهبية والسياسية..... 39-35

الفصل الثاني

منهجية الكتابة التاريخية عند المؤرخ الأندلسي (العهد الموحدي)

أ/ التوثيق..... 49-41

ب/ بنية النَّص في كتابات المؤرخ الأندلسي..... 54-50

ج/ المقارنة، النقد والخصوصية..... 58-55

د/ المصداقية والميولات المذهبية والسياسية..... 60-59

الفصل الثالث

الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة

-دراسة مقارنة-

1/ الكتابة التاريخية عند ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة..... 68-63

أ/ ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة (المسار الشخصي)..... 64-66

ب/ ابن الكردبوس وابن صاحب الصلاة الصلاة.. الحصيلة والتكوين..... 67-68

2/ المقارنة:..... 69-116

أ/ مضمون النص 69-80

ب/ مكانتهما في المتابة التاريخية 80-81

ج/ التوثيق 81-91

د/ البنية 91-99

هـ/ المنهج 99-103

و/ المصداقية والموضوعية في الخطاب التاريخي 103-116

خاتمة..... 118-120

الورّاقية..... 122-133

فهرس المصنفات..... 134-137

المحتويات..... 139-140